

معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم

[١]

الشيخ سعد بن عبدالله الجنيدل *

الأحقاف : أوله همزة مفتوحة بعدها حاء مهملة ساكنة ثم قاف مثناة بعدها ألف ، وآخره فاء موحدة : جمع حَقَف من الرمل .
ورد في القرآن الكريم : قال الله تعالى : ﴿ واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف ﴾ (١) .

قال الإمام الطبري : الأحقاف : جمع حَقَف وهو من الرمل ما استطال ، ولم يبلغ أن يكون جبلاً ، وإياه عني الأعشى :

فبات إلى أرطاة حَقَف تلفه حريق شمال يترك الوجه أقتما

واختلف أهل التأويل في الموضع الذي به هذه الأحقاف فقال بعضهم هي جبل بالشام .

وروى بسنده عن ابن عباس (واذكر أخا عاد أنذر قومه بالأحقاف قال الأحقاف جبل بالشام .

(١) سورة الأحقاف الآية - ٢١ .

* بكالوريوس آداب من قسم التاريخ بجامعة الملك سعود بالرياض .
- الدبلوم العالي من كلية التربية بجامعة الملك سعود .
- عمل في مجال التعليم والتوجيه التربوي ، له العديد من المؤلفات والمقالات المنشورة منها - :
معجم عالية نجد ، ومعجم الأمكنة الواردة في صحيح البخاري ، ومعجم الأمكنة الواردة في المعلقات العشر وغيرها .

وبسنده عن الضحّاك : جبل يسمى الأحقاف ، وقال آخرون : بل هي واد بين عمان ومهرة .

وقال بسنده عن ابن عباس : الأحقاف الذي أنذر هود قومه واد بين عمان ومهرة .
وقال بسنده عن ابن إسحاق : كانت منازل عاد وجماعتهم حيث بعث الله إليهم هوداً ، الأحقاف : الرمل فيما بين عمان إلى حضرموت فاليمن كله وكانوا مع ذلك قد فشوا في الأرض كلها ، وقال آخرون : هي رمال مشرفة على البحر بالشحر .
وروى بسنده عن قتادة : قال : ذكر لنا أن عاداً كانوا حياً باليمن أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر .

وقال القرطبي : الأحقاف : جمع حَقْف ، وهو ما استطال من الرمل العظيم واعوجّ ولم يبلغ أن يكون جبلاً ، والجمع حَقاف وأحقاف ، واحقوقف الرمل والهلال ، أي إعوجّ .

قال الأعشى : « بات إلى أرطات حقف أحقف » .

أي : رمل مستطيل مشرف ، وقال عن قتادة هي جبال مشرفة بالشحر والشحر قريب من عدن ، يقال : شحر عمان وشحر عمان ، وهو ساحل البحر بين عمان وعدن .
وقال عن ابن عباس : هي واد بين عمان ومهرة ، وعن مقاتل : كانت منازل عاد باليمن في حضرموت ، واد يقال له مهرة ، وإليه تنسب الإبل المَهْرِيَّةُ ، فيقال إبل مَهْرِيَّة ومَهَارِي وكانوا من قبيلة إرم .

وقال ياقوت : الأحقاف : جمع حقف من الرمل ، والعرب تسمي الرمل المعوجّ حقافاً وأحقافاً ، واحقوقف الهلال والرمل : إذا اعوجّ ، فهذا هو الظاهر في لغتهم ، وقد تعسف غيره ، والأحقاف المذكور في الكتاب العزيز : واد بين عمان وأرض مهرة ، عن ابن عباس ، قال ابن إسحاق : الأحقاف رمل فيما بين

عمان إلى حضرموت ، وقال قتادة : الأحقاف رمال مشرفة على البحر بالشحر من أرض اليمن ، وهذه ثلاثة أقوال غير مختلفة في المعنى .

وقال الضحاك : الأحقاف جبل بالشام ، وفي كتاب العين : الأحقاف جبل محيط بالدنيا ، من زبرجدة خضراء تلهب يوم القيامة ، فيحشر الناس عليه من كل أفق ، وهذا وصف جبل قاف .

والصحيح ما روينه عن ابن عباس وابن إسحاق وقاتدة : أنها رمال بأرض اليمن ، كانت عاد تنزلها .

قلت : وهذا التحديد لمنازل عاد التي أنذرهم فيها النبي هود عليه السلام ينطبق على الرمال الكثيفة التي تغطي بلاداً واسعة من جنوب شرق جزيرة العرب ، وتسمى في هذا العهد (الربع الخالي) وقد قصّ الله في كتابه العزيز خبر ما وقع عليهم من العذاب ، قال تعالى في وصف العذاب الذي حلّ بهم ﴿فلما رأوه عارضاً مستقبلَ أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ، بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربّها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم﴾^(١) . وقد تحدثت عن شيء من أخبارهم في رسم (ارم ذات العماد) في هذه الدراسة - فانظره .

الأخدود : أوله همزة مضمومة بعدها خاء معجمة ساكنة ثم دال مهملة مضمومة بعدها واو ساكنة وآخره دال مهملة : كان في قرية من قرى نجران . قال الله تعالى : ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾^(٢) .

قال القرطبي : الأخدود : الشقّ العظيم المستطيل في الأرض كالخندق ، وجمعه : أخايد وقال البكري : الأخدود الذي ذكره الله تعالى كان في قرية

(١) سورة الأحقاف / ٢٤ - ٢٥ .

(٢) سورة البروج الآية - ٤ .

من قرى نجران وهي اليوم خراب ليس فيها إلا المسجد الذي أمر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ببنائه .

وقال ابن جرير الطبري : عن ابن عباس : (قتل أصحاب الأخدود) قال : هم : ناس من بني إسرائيل خدّوا أخدوداً في الأرض ثم أوقدوا فيه ناراً ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساءً ، فعرضوا عليها . وزعموا أنه دانيال وأصحابه . وقال بسنده عن مجاهد ، قوله : (قتل أصحاب الأخدود) قال : كان شقوق في الأرض بنجران ، كانوا يعذبون فيها الناس .

وقال بسنده عن الربيع بن أنس قال : كان أصحاب الأخدود قوماً مؤمنين ، اعتزلوا الناس في الفترة وإنّ جباراً من عبدة الأوثان أرسل إليهم ، فعرض عليهم الدخول في دينه ، فأبوا ، فخد أخدوداً وأوقد فيه ناراً ، ثم خيرهم بين الدخول في دينه ، وبين إلقائهم في النار فاختاروا القاءهم في النار على الرجوع عن دينهم ، فألقوا في النار ، فنجّى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار من الحريق ، بأن قبض أرواحهم قبل أن تمسّهم النار ، وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم فذلك قول الله ﴿فلهم عذاب جهنم﴾ في الآخرة ﴿ولهم عذاب الحريق﴾ في الدنيا .

وقال القرطبي : عن الضحّاك هم قوم من النصارى كانوا باليمن قبل مبعث رسول الله ﷺ بأربعين سنة أخذهم يوسف بن شراحيل بن تبع الحميري وكانوا نيفاً وثمانين رجلاً وحفر لهم أخدوداً وأحرقهم فيه ، حكاه الماوردي .
وحكى الثعلبي عنه : أن أصحاب الأخدود من بني إسرائيل أخذوا رجالاً ونساءً فخدّوا لهم الأخاديد ثم أوقدوا فيها النار ، ثم أقيم المؤمنون عليها وقيل لهم : تكفرون أو تقدفون في النار !

ويزعمون أنه دانيال وأصحابه ، وقاله عطية العوني : وروى نحو : هذا عن ابن عباس .

قال القرطبي: كان أصل النصرانية بنجران فسار إليهم ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير فدعاهم إلى اليهودية وخيّرهم بين ذلك أو القتل ، فاختاروا القتل : فخذّ لهم الأخدود فحرّق بالنار وقتل بالسيف ، ومثّل بهم حتى قتل منهم عشرين ألفاً ، وقال وهب بن منبه : اثني عشر ألفاً .

قال ابن إسحاق : وذو نواس اسمه زرعة بن تَبَّان أسعد الحميريّ ، وكان أيضاً يسمّى يوسف ، وكان له غدائر من شعر تنوس ، أي : تضطرب ، فسمّى ذا نواس ، وكان فعل هذا بأهل نجران فأفلت منهم رجل اسمه ذو ثعلبان فساق الحبشة لينتصر بهم فملكوا اليمن وهلك ذو نواس في البحر ألقي نفسه فيه ، وفيه يقول عمرو بن معدي كرب :

أتوعدني كأنك ذو رعين	بأنعم عيشة أو ذو نواس
وكائن كان قبلك من نعيم	وملك ثابت في الناس راس
قديم عهده من عهد عاد	عظيم قاهر الجبوت قاس
أزال الدهر ملكهم فأضحى	ينقل من أناس في أناس

قلت : هذا خلاصة مما ذكره المفسّرون في الحديث عن الأخدود وقد تحدّثت عن أخباره في رسم (نجران) ، في (معجم الأمكنة الواردة في كتب السنّة) - فانظره . وقد اتفقت الأقوال على أن الأخدود الذي ورد ذكره في الآية الكريمة كان في نجران ، وهناك في مدينة نجران ناحية تسمّى (مدينة الأخدود) باقية وآثار مساكنها وبقايا من أسس بيوتها مبنية بالحجارة الضخمة وقد أقامت عليها

إدارة الآثار والمتاحف حماية للمحافظة على ما بقى من معالمها ويرى الكثيرون من سكان منطقة نجران ومن الباحثين ، أن هذه الآثار هي آثار البلدة التي وقعت فيها حادثة الأخدود .

أرض التيه : بهمة مفتوحة وراء مهمة ساكنة وضاد معجمة ، والتهيه بقاء مشاة مكسورة ، وياء مشاة ساكنة وآخره هاء : تقع هذه الأرض في شبه جزيرة سيناء .

جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ قال إنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ﴾ ^(١) .

قال ابن جرير : اختلف أهل التأويل في الناصب لـ (الأربعين) . قال بعضهم : الناصب له قوله : (محرمة) ، وإنما حرّم الله جلّ وعزّ على القوم الذين عصوه وخالفوا أمره من قوم موسى وأبوا حرب الجبارين ، دخول مدينتهم أربعين سنة ، ثم فتحها عليهم وأسكنهموها ، وأهلك الجبارين بعد حرب منهم لهم ، بعد أن انقضت الأربعين سنة وخرجوا من التيه .

وقال آخرون : بل الناصب لـ (الأربعين) ، (يتيهون في الأرض) . قالوا : ومعنى الكلام : قال فإنها محرمة عليهم أبداً ، يتيهون في الأرض أربعين سنة . قالوا : ولم يدخل مدينة الجبارين أحد ممن قال : (إنّا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنّا ههنا قاعدون) ، وذلك أن الله عزّ ذكره حرّمها عليهم .. قالوا : وإنما دخلها من أولئك القوم يوشع وكلاب ، اللذان قالوا لهم : (ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون) ، أولاد الذين حرّم الله عليهم دخولها فتيههم الله فلم يدخلها منهم أحد .

ومعنى : (يتيهون في الأرض) يحارون فيها ويضلّون ؛ ولذلك قيل للرجل الضّالّ عن سبيل الحق : (تائه) وكان تيههم ذلك : أنهم كانوا يصبحون أربعين سنة كلّ يوم جادّين في قدر ستة فراسخ للخروج منه ، فيمسون في الموضع الذي ابتدؤوا السّير منه .

وبسنده عن مجاهد : قال : تاهت بنو إسرائيل أربعين سنة ، يصبحون حيث أمسوا ، ويمسون حيث أصبحوا في تيههم .

قال ابن كثير: والمقصود أن موسى عليه السلام، لما انفصل من بلاد مصر وواجه بلاد بيت المقدس وجد فيها قوماً من الجبّارين ، من الحيشانيين والفزاريين والكنعانيين وغيرهم .

فأمرهم موسى عليه السلام بالدخول عليهم ومقاتلتهم ، وإجلاتهم إياهم عن بيت المقدس ، فإنّ الله الجليل كتبه لهم ، ووعدهم إياه على لسان إبراهيم الخليل وموسى الكليم فأبوا ونكلوا عن الجهاد ، فسلبّ الله عليهم الخوف . وألقاهم في التيه يسيرون ويحلّون ويرتحلون ويذهبون ويجيئون . في مدّة من السنين طويلة هي من العدد أربعون .

وقال ياقوت : التيه هو الموضع الذي ضلّ فيه موسى بن عمران ، عليه السلام ، وقومه وهي أرض بين أيلة ، ومصر وبحر القلزم ، وجبال السراة من أرض الشام ، ويقال : إنها أربعون فرسخاً في مثلها ، وقيل : اثنا عشر فرسخان في ثمانية فراسخ ، وإياه أراد المتنبي بقوله :

ضربت بها التيه ضرب القما رما لهذا واما لذا

والغالب على أرض التيه الرمال، وفيها مواضع صلبة، وبها نخيل وعيون

مفترشة قليلة ، يتّصل حدّ من حدودها بالجفار ، وحدّ بجبل طور سيناء ، وحدّ بأرض بيت المقدس ، وما اتصل به من فلسطين ، وحدّ ينتهي إلى مفازة في ظهري ريف مصر إلى حدّ القلزم ، ويقال : إنّ بني إسرائيل دخلوا التيه وليس منهم أحد فوق الستين إلى دون العشرين سنة فماتوا كلّهم في أربعين سنة ، ولم يخرج منه مَن دخله مع موسى بن عمران عليه السلام ، إلا يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ، وإنّما خرج عقبهم .

وفي القاموس الإسلامي : التيه اسم تاريخي يطلق على الصحراء الجرداء التي توسط شبه جزيرة سيناء ، وتمتد بين شرق دلتا النيل إلى جنوب فلسطين ، وتمتد شمالاً من الساحل الرملي المنبسط المطل على البحر الأبيض إلى جبال سيناء الوسطى ، كما يطلق على هذه الصحراء اسم (فحص التيه) أو (صحراء بني إسرائيل)، أي : الصحراء التي تاه فيها بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر ، وكانت القوافل العسكرية وقوافل الحجّاج تخترق هذه الصحراء من مصر إلى الكرك ، والعقبة ، وأيلة بالإضافة إلى الطريق الساحلي الذي كان يمر بالفرماء ، وهو الطريق الذي سلكه عمرو بن العاص - رضي الله عنه - في فتح مصر .

وقال ابن الأثير : إنّ الله تعالى أمر موسى ، عليه السلام ، أن يسير ببني إسرائيل إلى أريحا بلد الجبّارين ، وهي أرض بيت المقدس ، فساروا حتى كانوا قريباً منهم ، فبعث موسى اثني عشر نقيباً من سائر أسباط بني إسرائيل ، فساروا ليأتوا بخبر الجبّارين ، فلقيهم رجل من الجبّارين يقال له عوج بن عناق فأخذ الاثني عشر فحملهم وانطلق بهم إلى امرأته فقال : انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يريدون أن يقاتلونا ، وأراد أن يطأهم برجله ، فمنعته امرأته فقالت : أطلقهم ليرجعوا ويخبروا قومهم بما رأوا ، ففعل ذلك ، فلمّا

خرجوا قال بعضهم لبعض : إنكم إن أخبرتم بني إسرائيل بخبر هؤلاء لا يقدموا عليهم ، فآكتموا الأمر عنهم ، وتعاهدوا على ذلك ورجعوا ، فنكث عشرة منهم العهد وأخبروا بما رأوا ، وكنتم رجالان منهم ، وهما : يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ختن موسى ، ولم يخبروا إلا موسى وهارون ، فلمّا سمع بنو إسرائيل الخبر عن الجبارين امتنعوا عن المسير إليهم ، فقال لهم موسى : (يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة التي كتب الله لكم ولا تردّوا على أدباركم فتقلبوا خاسرين) . قالوا : يا موسى إنّ فيها قومًا جبارين وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها فإنّا داخلون . قال رجلان - وهما يوشع وكالب - من الذين يخافون أنعم الله عليهما : (ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون) ، (قالوا : يا موسى إنّنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربّك فقاتلا إنّنا ههنا قاعدون) .

فغضب موسى فدعا عليهم فقال : (ربّ إنّني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) . وكانت عجلة من موسى فقال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (١) .

فندم موسى حينئذ فقالوا له : فكيف لنا بالطعام ؟ فأنزل الله المنّ والسلوى ، فأما المنّ فقليل هو كالصمغ ، وطعمه كالشهد ويقع على الأشجار ، وقيل : هو الترنجيبين ، وقيل : هو الخبز الرقاق ، وقيل : هو عسل كان ينزل لكل إنسان صاع .

وأما السلوى فهو طائر يشبه السمانى فقالوا : أين الشراب ؟ فأمر موسى فحضر بعصاه الحجر (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) .. لكل سبط عين .

(١) سورة المائدة من الآية ٢١ إلى ٢٦ .

فقالوا : أين الظلّ ؟ فظلّل عليهم الغمام . فقالوا : أين اللباس ؟ فكانت ثيابهم تطول معهم ولا يتمزّق لهم ثوب . ثم قالوا : (يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا ممّا تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها . قال : أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟ اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم) .

فلمّا خرجوا من التيه رفع عنهم المنّ والسلوى .

ثم إن موسى التقى هو وعوج بن عنق فوثب موسى عشرة أذرع ، وكانت عصاه عشرة أذرع وكان طوله عشرة أذرع فأصاب كعب عوج فقتله . وقيل : عاش عوج ثلاثة آلاف سنة .

الأرض المباركة : أولها همزة مفتوحة بعدها راء مهملة ساكنة وآخرها ضاد : يقصد به في أشهر الأقوال : بلاد الشام .

قال الله تعالى مخبراً عن خليله إبراهيم : ﴿ وَنَجِّنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا للعَالَمِينَ ﴾ (١) .

قال ابن كثير : لما هجر قومه في الله ، وهاجر من بين أظهرهم ، وكانت امرأته عاقراً لا يولد لها ، ولم يكن له من الولد أحد ، بل معه ابن أخيه لوط بن هاران بن آزر ، وهبه الله تعالى بعد ذلك الأولاد الصالحين ، وجعل في ذريته النبوة والكتاب ، فكل نبيّ بعث بعده فهو من ذريته ، وكل كتاب نزل من السماء على نبيّ من الأنبياء بعده ، فعلى أحد نسله وعقبه ، خلعة من الله وكرامة له ، حين ترك بلاده وأهله وأقرباءه ، وهاجر إلى بلد يتمكن فيها من عبادة ربه عزّ وجلّ ودعوة الخلق إليه .

(١) سورة الأنبياء الآية - ٧١ .

والأرض التي قصدتها بالهجرة أرض الشام ، وهي التي قال الله عزّ وجلّ فيها : ﴿إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ ، قاله أبيّ بن كعب وأبو العالية وقتادة وغيرهم .

وروى العوفي عن ابن عباس قوله : (... إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين مكة) ، ألم تسمع إلى قوله : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ وزعم كعب الأخبار أنها (حران) .

ونقل عن أهل الكتاب أنه خرج من أرض بابل هو وابن أخيه لوط ، وأخوه ناحور ، وامرأة إبراهيم سارة ، وامرأة أخيه (ملكا) فنزلنا حران فمات (تارخ) أبو إبراهيم بها .

وقال ابن جرير : القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ .

يقول تعالى ذكره : وَنَجَّيْنَا إِبْرَاهِيمَ وَلُوطًا مِنْ أَعْدَائِهِمَا ، فمروا وقومه من أرض العراق (إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) وهي أرض الشام ، فارق صلوات الله عليه قومه ودينهم وهاجر إلى الشام .

وقد اختلف أهل التأويل في الأرض التي ذكر الله أنه نجيّ إبراهيم ولوطاً إليها ، ووصفه أنه بارك فيها للعالمين .

وروى بسنده عن أبيّ بن كعب (ونجّيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) قال : الشام ، وما من ماء عذب إلا خرج من تلك الصخرة التي ببيت المقدس .

وروى بسنده عن الحسن في قوله تعالى : ﴿إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ قال : الشام .

وروى بسنده عن قتادة ، قوله : (ونُجِّيناهُ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) كانا بأرض العراق ، فأُنْجِيا إلى أرض الشام ، وكان يقال للشَّام عماد دار الهجرة ، ومانقص من الأرض زيد في الشَّام ، وما نقص من الشَّام زيد في فلسطين ، وكان يقال : هي أرض المحشر والمنشر ، وبها مجمع الناس ، وبها ينزل عيسى بن مريم ، وبها يهلك الله شيخ الضلالة الكذاب الدجَّال .

وروى بسنده ، عن ابن إسحاق ، قال : خرج إبراهيم مهاجراً إلى أرض ربّه ، وخرج معه لوط مهاجراً ، وتزوَّج سارة ابنة عمّه ، فخرج بها معه يلتمس الفرار بدينه ، والأمان على عبادة ربّه ، حتى نزل حرّان ، فمكث فيها ما شاء الله أن يمكث ، ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر ، ثم خرج من مصر إلى الشام ، فنزل السبع من أرض فلسطين ، وهي بريّة الشام ، ونزل لوط بالمؤتفكة ، وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة ، أو أقرب من ذلك ، فبعثه الله نبياً ﷺ .

وروى بسنده عن ابن جريج وابن زيد قولهما : نَجَّاهُ من أرض العراق إلى أرض الشام .

وقال : لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام ، فيها كان مقامه أيّام حياته ، وإن كان قد كان قدم مكة وبنى بها البيت وأسكنها إسماعيل ابنه مع أمّه هاجر ، غير أنه لم يقيم بها ، ولم يتخذها وطناً لنفسه ، ولا لوط ، والله إنّما أخبر عن إبراهيم ولوط أنّهما أنجاهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين .

وقال ابن الأثير : إن إبراهيم والذين اتَّبَعُوا أمره أجمعوا على فراق قومهم : فخرج مهاجراً حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الأولى ، وكان اسمه سنان بن علوان بن عبيد بن عولج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ،

وقيل : كان أخا الضحّاك استعمله على مصر ، وكانت سارة من أحسن النساء وجهاً ، وكانت لا تعصى إبراهيم شيئاً ، فلمّا وصفت لفرعون أرسل إلى إبراهيم فقال : من هذه التي معك ؟ قال : أختي ، يعني في الإسلام وتخوّف أن قال هي امرأتي أن يقتله . فقال له : زيّنها وأرسلها إليّ ، فأمر بذلك إبراهيم ، فتزيّنت وأرسلها إليه ، فلمّا دخلت عليه أهوى بيده إليها ، وكان إبراهيم حين أرسلها قام يصليّ ، فلمّا أهوى إليها أخذَ أخذاً شديداً ، فقال : ادعى الله ولا أضرك . فدعت له ، فأرسل ، فأهوى إليها ، فأخذَ أخذاً شديداً ، فقال : ادعى الله ولا أضرك . فدعت له ، فأرسل ، ثم فعل ذلك الثالثة ، فذكر مثل المرتين ، فدعا حجابها فقال : إنك لم تأتني بإنسان وإنك بشيطان ! أخرجها وأعطها هاجر ، ففعل ، فأقبلت بهاجر ، فلمّا أحسّ إبراهيم بها انفتل من صلاته فقال : مهيم ! فقالت : كفى الله كيد الكافرين وأخدم هاجر .

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول : تلك أمكم يا بني ماء السماء . وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث مرات ، اثنتين في ذات الله ، قوله : (إني سقيم)، وقوله : (بل فعلهم كبيرهم هذا)، وقوله في سارة: (هي أختي).

قلت : واكتفى بهذا القدر مما ذكره العلماء عن خبر هجرة إبراهيم من العراق إلى بلاد الشام والتعريف بالأرض المباركة التي هاجر إليها .

الأرض المقدّسة : بهمة مفتوحة وراء مهمة ساكنة وآخرها ضاد معجمة : المقدّسة : صفة للأرض وصفت بها تمييزاً لها . واختلف في تحديدها فقليل : الطور ، وقيل : أريحاء ، وقيل : الشام ، وقيل : فلسطين ودمشق وما حولها .

قال الله تعالى مخبراً عن نبيّه موسى عليه السلام : ﴿ يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة التي كتب الله لكم ﴾ ^(١) .

وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام فلمّا جاءه صكّه فرجع إلى ربّه فقال أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت قال ارجع إليه فقل له : يضع يده على متن ثورفله بما غطّت يده بكل شعرة سنة قال أيّ ربّ ثم ماذا قال ثم الموت فالآن قال فسأل الله أيّ يدني من الأرض المقدّسة رمية حجر) .

قال ابن حجر : المطلوب القرب من الأنبياء الذين دفنوا ببيت المقدس ، وهو الذي رجّحه عياض . هذا ما أراده موسى عليه السلام حين طلب ربّه أن يدني من الأرض المقدّسة رمية حجر .

وقال ابن كثير : الأرض المقدّسة ، أيّ : المطهّرة ، وقال سفيان الثوري عن الأعشى عن مجاهد عن ابن عباس في قوله : (ادخلوا الأرض المقدّسة) قال : هي الطور وما حوله ، وكذا قال مجاهد وغير واحد .

وروى سفيان الثوري عن أبي سعد البقّال عن عكرمة عن ابن عباس قال : هي أريحاء ، وكذا ذكره عن غير واحد من المفسّرين ، وفي هذا نظر ؛ لأنّ أريحاء ليست هي المقصودة بالفتح ، ولا كانت في طريقهم إلى بيت المقدس وقد قدموا من بلاد مصر ، حين أهلك الله عدوّهم فرعون ، اللهم إلا أن يكون المراد بأريحاء أرض بيت المقدس ، كما قال السدّي فيما رواه ابن جرير عنه ، لا أن المراد بها هذه البلدة المعروفة في طرف الطور شرقي بيت المقدس .

(١) سورة المائدة الآية - ٢١ .

قال ابن جرير : في تأويل قوله جلّ ثناؤه : (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) هذا خبر من الله عزّ ذكره عن قول موسى عليه السلام لقومه بني إسرائيل ، وأمره إيّاهم - عن أمر الله إيّاه - بأمرهم بدخول الأرض المقدسة .

ثم اختلف أهل التأويل في الأرض التي عنها بـ (الأرض المقدسة) . قال بعضهم : عنى بذلك الطور وما حوله وهو رواية بسنده عن مجاهد . وروى بسنده عن ابن عباس : (ادخلوا الأرض المقدسة) قال : الطور وما حوله .

وقال آخرون : هو الشام روى ذلك بسنده عن قتادة .

وقال آخرون : هي أرض أريحاء .

وروى بسنده عن ابن زيد في قوله : (ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) قال : أريحاء .

وروى بسنده عن السديّ قال : هي أريحاء .

وروى بسنده عن عكرمة عن ابن عباس قال : هي أريحاء .

وقيل : إن (الأرض المقدسة) دمشق وفلسطين وبعض الأردن .

وعنى بقوله : (المقدسة) ، المطهرة المباركة .

وروى بسنده عن مجاهد : (الأرض المقدسة) قال : المباركة .

وقال : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : هي الأرض المقدسة

كما قال نبيّ الله موسى ﷺ ؛ لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض ، لا تدرك حقيقة صحته إلا بالخبر ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به .

غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش
مصر لاجتماع جميع أهل التأويل والسّير والعلماء بالأخبار على ذلك .
وقال القرطبي : (المقدّسة) معناه المطهّرة . مجاهد : المباركة ، والبركة
التطهير من القحوط والجوع وغيره .
قتادة : هي الشام . مجاهد : الطور وما حوله . ابن عباس والسدي وابن
زيد : هي أريحاء .
الزجاج : دمشق ، وفلسطين ، وبعض الأردن .
وقول قتادة يجمع هذا كلّه .
قال ياقوت : الأرض المقدّسة : هي المباركة المنزهة ، قيل : هي دمشق
وفلسطين وبعض الأردن وبيت المقدس منه .
قلت : هذا ما قاله المفسّرون في تحديد الأرض المقدّسة على اختلاف
بينهم ، وقد رجّح القرطبي ما قاله قتادة : هي أرض الشام ، لاشتمالها على ما
قاله غيره ، ولا سيّما بيت المقدس .

معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم

[٢]

الشيخ سعد بن عبدالله الجنيدل *

إرم ذات العماد : أوله همزة مكسورة بعدها راء مهملة مفتوحة بعدها ميم ، والعماد بكسر العين المهملة : مدينة شدّاد بن عاد في اليمن على قول بعض العلماء .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ (١) .
قال البخاري : قال مجاهد : إرم ذات العماد القديمة والعماد أهل عمود لا يقيمون .

قال ابن جرير : واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (إرم) فقال بعضهم : هي اسم بلدة ، ثم اختلف الذين قالوا ذلك في البلدة التي عنيت بذلك ، فقال بعضهم : عنيت الإسكندرية .
وروي بسنده عن القرطبي أنه يقول : (إرم ذات العماد) الإسكندرية .

(١) سورة الفجر ، الآية : ٧ .

* بكالوريوس آداب من قسم التاريخ بجامعة الملك سعود بالرياض .
- الدبلوم العالي من كلية التربية بجامعة الملك سعود .
- عمل في مجال التعليم والتوجيه التربوي . له العديد من المؤلفات والمقالات المنشورة منها - :
معجم عالية نجد ، ومعجم الأمكنة الواردة في صحيح البخاري ، ومعجم الأمكنة الواردة في المعلقات العشر وغيرها .

قال : وقال آخرون : هي دمشق .

وروي بسنده عن مجاهد ، قوله (إرم) قال : القديمة .

وقال آخرون : تلك قبيلة من عاد .

وقال آخرون : إرم الهالك .

قال : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن إرم إمّا اسم بلدة كانت عاد تسكنها ، فلذلك ردّت على عاد للاتباع لها ، وإمّا اسم قبيلة .

وأما ما ذكر عن مجاهد ، أنه قال : عنى بذلك القديمة ، فقول لا معنى له .

وأشبه الأقوال فيه بالصواب عندي : أنها اسم قبيلة من عاد ، ولذلك جاءت القراءة بترك إضافة عاد إليها ، وترك إجرائها .

وقوله : (ذات العماد) اختلف أهل التأويل في معنى قوله (ذات العماد)

في هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناه : ذات الطول ، وذهبوا في ذلك إلى قول العرب للرجل الطويل : رجل معمد ، وقالوا : كانوا طوال الأجسام .

وقال بعضهم : بل قيل لهم (ذات العماد) ؛ لأنهم كانوا أهل عمد ،

ينتجعون الغيوث وينتقلون إلى الكلاً حيث كان ، ثم يرجعون إلى منازلهم .

وقال آخرون : بل قيل ذلك لهم لبناء بناه بعضهم فشيّد عمده ورفع بناءه .

وأشبه الأقوال في ذلك بما دلّ عليه ظاهر التنزيل ، قول من قال : عنى

بذلك أنهم كانوا أهل عمود سيارة ، لأن المعروف في كلام العرب من العماد ما

عمد به الخيام من الخشب ، والسواري التي يحمل عليها البناء ، ولا يعلم بناء

كان لهم بالعماد بخبر صحيح .

وقال ابن كثير في تفسيره : قوله تعالى : (ذات العماد) ؛ لأنهم كانوا

يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الشّداد ، وقد كانوا أشدّ الناس في

زمانهم خلقة وأقواهم بطشا ؛ ولهذا ذكرهم هود بتلك النعمة وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم .

قال مجاهد : إرم أمة قديمة يعني عاداً الأولى ، قال قتادة بن دعامة والسدي : إن إرم بيت مملكة عاد وهذا قول حسن جيد قوي ، وقال مجاهد وقاتادة والكلبي في قوله : (ذات العماد) كانوا أهل عمد لا يقيمون ، وقال العوفي عن ابن عباس : إنما قيل لهم ذات العماد لطولهم ، واختار الأول ابن جرير ورد الثاني فأصابه .

قال ابن كثير : فعلى كل قول سواء كانت العماد أبنية بنوها أو أعمدة بيوتهم للبدو أو سلاحاً يقاتلون به أو طول الواحد منهم فهم قبيلة وأمة من الأمم فهم المذكورون في القرآن في غير ما موضع المقرونون بشمود والله أعلم .

ومن زعم أن المراد بقوله : ﴿ إرم ذات العماد ﴾ مدينة إرم دمشق كما روي عن سعيد بن المسيب وعكرمة أو إسكندرية كما روي عن القرطبي أو غيرهما ففيه نظر ؛ فإنه كيف يلتئم الكلام على هذا ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد ﴾ أن جعل ذلك بدلاً أو عطف بيان ؟ فإنه لا يتسق الكلام حينئذ ، ثم المراد إنما الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد وما أحلّ الله بهم من بأسه الذي لا يرد ؛ لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم . وإنما نبّهت على ذلك لئلا يغتر لكثير بما ذكره جماعة من المفسرين عن هذه الآية ، عن ذكر مدينة يقال لها إرم ذات العماد مبنية بلبن الذهب والفضة ، قصورها ودورها وبساتينها ، وأن حصبها لآلئ وجواهر ، وترابها بنادق المسك ، وأنهارها سارحة وثمارها ساقطة ، ودورها لا أنيس بها ، وسورها وأبوابها تصفر ، ليس بها داع ولا مجيب ، وإنّها تنتقل فتارة تكون بأرض الشام ،

وتارة باليمن ، وتارة بالعراق ، وتارة بغير ذلك من البلاد ؛ فإنّ هذا كلّ من خرافات الإسرائيليين ، من وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذلك القول الجهلة من الناس أن تصدّقهم في جميع ذلك .

- وذكر الثعالبي وغيره أن رجلاً من الأعراب وهو عبدالله بن قلابة ، في زمان معاوية رضي الله عنه ذهب في طلب أباعر له شردت ، فبينما هو يتيه في ابتغائها إذ طلع على مدينة عظيمة لها سور وأبواب فدخلها فوجد فيها قريباً مما ذكرناه ، من صفات المدينة الذهبية التي تقدّم ذكرها ، وأنه رجع فأخبر الناس فذهبوا معه إلى المكان الذي قال فلم يروا شيئاً ... فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها ولو صحّ إلى ذلك الأعرابي ، فقد يكون اختلق ذلك ، أو أنه أصابه نوع من الهوس والخيال فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج وليس كذلك ، وهذا ممّا يقطع بعدم صحته .

- وقال ابن إسحاق : كانوا عرباً وكان منزلهم بوادي القرى

- قال ياقوت : إرم ذات العماد : وهي إرم عاد ، يضاف ولا يضاف ، أعني قوله عزّ وجلّ : ألم تر كيف فعل ربّك بعاد إرم ذات العماد . فمن أضاف لم يصرف إرم ، لأنه يجعله اسم أمّهم ، أو اسم بلدة ، ومن لم يضيف جعل إرم اسمه ولم يصرفه ، لأنه جعل عاداً اسم أبيهم ، وإرم اسم القبيلة ، وجعله بدلاً منه .

وقال بعضهم : إرم لا ينصرف للتعريف والتأنيث لأنه اسم قبيلة ، فعلى هذا يكون التقدير : - إرم صاحب ذات العماد ، لأن ذات العماد مدينة .

- وقيل : ذات العماد وصف ، كما تقول المدينة ذات الملك .

- وقيل : إرم مدينة فعلى هذا يكون التقدير بعاد صاحب إرم .

ويقرأ بعاد إرم ذات العماد ، الجرّ على الإضافة فهذا إعرابها ، ثم اختلف فيها من جعلها مدينة ، فمنهم من قال : هي أرض كانت واندرست ، فهي لا

تعرف . ومنهم من قال : هي الإسكندرية ، وأكثرهم يقولون : هي دمشق ،
وكذلك قال شبيب بن يزيد بن النعمان بن بشير :

لولا التي علّقتني من علائقها

لم تمس لي إرم داراً ولا وطناً

قالوا : أراد دمشق ، وإياها أراد البحترى بقوله :

إليك رحلنا العيس من أرض بابل

نحوز بها سمت الدّبور ونهتدي

فكم جزعت من وهدة بعد وهدة

وكم قطعت من فدفد بعد فدفد

طلبك من أمّ العراق نوازعا

بنا ، وقصور الشام منك بمرصد

إلى إرم ذات العماد وأنّها

لموضع قصدي موجفاً وتعمّدي

- وحكى الزمخشري أن إرم بلد منه الإسكندرية . وروى آخرون أن

إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ، باليمن بين حضرموت
وصنعاء ، من بناء شدّاد بن عاد ، ورووا أن شدّاد بن عاد كان جباراً ، ولما
سمع بالجنة وما أعدّ الله فيها لأوليائه من قصور الذهب والفضة والمساكن التي
تجري من تحتها الأنهار ، والغرف التي من فوقها غرف ، قال لكبرائه : إني
متخذ في الأرض مدينة على صفة الجنة ، فوكلّ بذلك مائة رجل من وكلائه
وقهاريماته تحت يد كل رجل منهم ألف من الأعوان وأمرهم أن يطلبوا فضاء
فلات من أرض اليمن ويختاروا أطيبها تربة ، ومكّنتهم من الأموال ومثّل لهم

كيف يعملون ، وكتب إلى عمّاله الثلاثة : غانم بن علوان والضّحاك بن علوان والوليد بن الرّيّان يأمرهم أن يكتبوا إلى عمالهم في آفاق بلدانهم أن يجمعوا جميع ما في أرضهم من الذهب والفضة والدّر والياقوت والمسك والعنبر والزعفران ، فيوجّهوا به إليه .

ثم وجّه إلى جميع المعادن فاستخرج ما فيها من الذهب والفضة . ثم وجّه عمّاله الثلاثة الغواصين إلى البحار فاستخرجوا الجواهر ، فجمعوا منها أمثال الجبال ، وحمل جميع ذلك إلى شدّاد ثم وجّهوا الحفّارين إلى معادن الياقوت والزبرجد ، وسائر الجواهر فاستخرجوا منها أمراً عظيماً . فأمر بالذهب فضرب أمثال اللبن ثم بنى بذلك تلك المدينة ، وأمر بالدّر والياقوت والجزع والزبرجد والعقيق ففصّص به حيطانها ، وجعل لها غرفاً من فوقها غرف ، معمد جميع ذلك بأساطين الزبرجد والجزع والياقوت ثم أجرى تحت المدينة وادياً ساقه إليها من تحت الأرض أربعين فرسخاً ، كهيئة القناة العظيمة . ثم أمر فأجرى من ذلك الوادي سواق في تلك السّكك والشوارع والأرقة تجري بالماء الصافي . وأمر بحافتي ذلك النهر وجميع السواقي فطليت بالذهب الأحمر ، .. ثم بنى لنفسه في وسط المدينة ، على شاطئ ذلك النهر قصرأ منيفاً عالياً يشرف على تلك القصور كلّها ، وجعل بابها يشرع إلى الوادي بمكان رحب واسع ، ونصب عليه مصراعين من ذهب مفصّصين بأنواع اليواقيت .. ومكث في بنائها خمسمائة عام .

وإن الله تعالى أحبّ أن يتّخذ الحجّة عليه وعلى جنوده بالرسالة والدعاء إلى التوبة والإنابة فانتخب لرسالته إليه هوداً عليه السلام . وكان من صميم قومه وأشرفهم ... ثم إن هوداً عليه السلام ، أتاه فدعاه إلى الله تعالى وأمره بالإيمان والإقرار بربوبية الله عزّ وجلّ ، ووحدانيته ، فتمادى في الكفر

والطغيان وذلك حين تمّ لملكه سبعمائة سنة . فأنذره هود بالعذاب وحذّره وخوّفه زوال ملكه فلم يرتدع عمّا كان عليه ، ووافاه الموكّلون ببناء المدينة ، وأخبروه بالفراغ منها فعزم على الخروج إليها في جنوده فخرج في ثلاثمائة ألف من حرسه وشاكريّته ومواليه وسار نحوها وخلف على ملكه بحضرموت وسائر أرض العرب ابنه مرثد بن شدّاد . وكان مرثد فيما يقال مؤمناً بيهود عليه السلام ، فلماً قرب شدّاد من المدينة وانتهى إلى مرحلة منها جاءت صيحة من السماء فمات هو وأصحابه أجمعون ...

وختم ياقوت هذه القصة التي أوردنا ملخصاً مما جاء فيها بقوله :
قلت : هذه القصة مما قدّمنا البراءة من صحتها وظننّا أنها من أخبار القصّاص المنمّقة وأوضاعها المزوّقة .

قلت : هذا بعض ما ذكره ابن كثير وغيره من العلماء - عن إرم ذات العمد ، ويتّضح فيما ذكرناه من أقوال العلماء الاختلاف في حقيقة إرم ذات العمد ، وصفها وموقعها ، وهل هي مدينة أو قبيلة ؟ غير أن ابن كثير استحسن قول قتادة والسدّي : أن إرم ذات العمد بيت مملكة عاد ، والله أعلم .
أم القرى : بهمزة مضمومة بعدها ميم مشدّدة : والقرى جمع قرية ، يقصد بها مكة البلد الحرام .

قال الله تعالى : ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ لتنذر أمّ القرى ومن حولها ﴾ (٢) .

(١) سورة القصص ، الآية : ٥٩ .

(٢) سورة الشورى ، الآية : ٧ .

وقال تعالى : ﴿ ولتنذر أمّ القرى ومن حولها ﴾ ^(١) .

قال ابن جرير الطبري : وأما قوله : ﴿ ولتنذر أمّ القرى ومن حولها ﴾ فإنه يقول : أنزلنا إليك يا محمد هذا الكتاب مصداقاً ما قبله من الكتب ، ولتنذر به عذاب الله ويأسه من في أمّ القرى ، وهي مكة (ومن حولها) شرقاً وغرباً من العادلين برّبهم غيره من الآلهة والأنداد والجاحدين برسله وغيرهم من أصناف الكفار .

وروي بسنده عن ابن عباس قوله : ﴿ ولتنذر أمّ القرى ومن حولها ﴾ يعني به (أمّ القرى) مكة ، (ومن حولها) من القرى إلى المشرق والمغرب .
وروي بسنده عن قتادة : (ولتنذر أمّ القرى) ، قال : هي مكة وبه عن معمر ، عن قتادة قال : بلغني أن الأرض دحيت من مكة .

وروي بسنده عن السديّ : ﴿ ولتنذر أمّ القرى ومن حولها ﴾ ، أما (أمّ القرى) فهي مكة ، وإنما سميت (أمّ القرى) لأنها أول بيت وضع بها .

وقال القرطبي : (ولتنذر أمّ القرى ومن حولها) يريد مكة ، والمراد أهلها فحذف المضاف ، أي أنزلناه للبركة والإنذار (ومن حولها) يعني جميع الآفاق .

قال ابن كثير : ﴿ ولتنذر أمّ القرى ومن حولها ﴾ يعني مكة ، (ومن حولها) من أحياء العرب ومن سائر طوائف بني آدم من عرب وعجم ، كما قال في الآية الأخرى ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ ، وقال ﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾ .

قلت : هذا ما ذكره هؤلاء المفسرون في التعريف بأمّ القرى ، واتفقوا أن

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٩٢ .

ذلك يعني مكة البلد المقدّس حرسها الله ، فهو اسم من أسماء مكة ، ولزيد من الإيضاح - انظر : رسم (مكة) في هذا الكتاب .

الأيكة : بهمزة مفتوحة وياء مثناة ساكنة وكاف مفتوحة وآخره هاء : هي بلاد مدين قوم شعيب .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴾ ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لُيْئَةِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَثَمُودَ وَقَوْمَ لُوطٍ وَأَصْحَابَ لُيْئَةٍ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴾ ^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمَ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرِّسَالَ فَحَقَّ وَعِيدُ ﴾ ^(٤) .

قال ابن جرير : يقول الله تعالى ذكره : وقد كان أصحاب الغيضة ظالمين .

يقول : كانوا بالله كافرين ، والأأيكة : الشجر الملتف المجتمع ، كما قال أميّة :

كَبِكا الحمام على فروع الأيكة في الغصن الجوانح

وروي بسنده عن قتادة ، قوله : (وإن كان أصحاب الأأيكة لظالمين) ذكر

لنا أنهم كانوا أهل غيضة . وكان عامّة شجرهم هذا الدوم وكان رسولهم فيما

بلغنا شعيب عليه السلام ، أرسل إليهم وإلى أهل مدين ، أرسل إلى أمتين من

الناس وعذبنا بعذابين شتى .

(١) سورة الحجر ، الآية : ٧٨ .

(٢) سورة الشعراء ، الآيتان : ١٧٦ - ١٧٧ .

(٣) سورة ص ، الآية : ١٣ .

(٤) سورة ق ، الآية : ١٤ .

أما أهل مدين فأخذتهم الصيحة ، وأما أصحاب الأيكة فكانوا أهل شجر متكأوس ، ذكر لنا أنه سلط عليهم الحرّ سبعة أيام ، لا يظّلهم منه ظلّ ولا يمنعهم منه شيء ، فبعث الله عليهم سحابة فحلّوا تحتها يلتمسون الروح فيها فجعلها الله عليهم عذاباً . بعث عليهم ناراً فاضطربت عليهم فأكلتهم ، فذلك عذاب يوم الظلّة إنه كان عذاب يوم عظيم .

وروي بسنده عن ابن جريج ، قوله : ﴿ وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين ﴾ قال : قوم شعيب . قال ابن عباس : الأيكة ذات آجام وشجر وكانوا فيها . قال ابن كثير : ومن زعم من المفسرين كقتادة وغيره : أن أصحاب الأيكة أمة أخرى غير أهل مدين فقلوه ضعيف ، وإنما عمدتهم شيثان : أحدهما أنه قال : ﴿ كذب أصحاب الأيكة المرسلين . إذ قال لهم شعيب ﴾ ولم يقل أخوهم كما قال : ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً ﴾ .

والثاني أنه ذكر عذابهم بيوم الظلّة ، وذكر في أولئك الرجفة أو الصيحة والجواب عن الأول : أنه لم يذكر الأخوة بعد قوله : ﴿ كذب أصحاب الأيكة المرسلين ﴾ لأنه وصفهم بعبادة الأيكة ، فلا يناسب ذكر الأخوة ههنا . ولما نسبهم إلى القبيلة ساغ ذكر شعيب بأنه أخوهم .

وهذا الفرق من النفائس اللطيفة العزيزة الشريفة . وأما احتجاجهم بيوم الظلّة ، فإن كان دليلاً بمجرده على أن هؤلاء أمة أخرى ، فليكن تعداد الانتقام بالرجفة والصيحة دليلاً على أنهما أمتان أخريان ، وهذا لا يقوله أحد يفهم شيئاً من هذا الشأن .

فأما الحديث الذي أورده الحافظ بن عساكر في ترجمة النبي شعيب عليه السلام بسنده عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً : (أن قوم مدين وأصحاب الأيكة

أَمَّتَانِ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمَا شُعَيْبًا النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَإِنَّهُ حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَفِي رَجَالِهِ مَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ .

والأشبه أنه من كلام عبدالله بن عمرو ، ممَّا أصابه يوم اليرموك من تلك الزاملتين من أخبار بني إسرائيل .. والله أعلم .

ثم قد ذكر الله عن أهل الأيكة من المذمة ما ذكره عن أهل مدين من التطفيف في المكيال والميزان ، فدلَّ على أنهم أمة واحدة ، وأهلكوا بأنواع من العذاب . وذكر في كل موضع ما يناسبه من الخطاب .

وقال القرطبي : ﴿ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴾ يريد قوم شعيب كانوا أصحاب غياض ورياض وشجر مثمر ، والأيكة : الغيضة ، وهي جماعة الشجر ، والجمع الأيكة ، ويروى أن شجرهم كان دوماً وهو المقل ، قال النابغة :
تجلّوا بقادمتي حمّامة أيكة برداً أسفّ لثاته بالأثمد
وقيل : الأيكة اسم القرية ، وقيل اسم البلدة ، وقال أبو عبيدة : الأيكة وليكة مدينتهم .

وقال البكري : الأيكة المذكورة في كتاب الله تعالى ، كانت منازل قوم شعيب : روي عن ابن عباس فيها روايتان : إحداهما أن الأيكة مدين إلى شغب وبدا ، والثانية أنها من ساحل البحر إلى مدين . قال : وكان شجرهم المقل ، والأيكة عند أهل اللغة الشجر الملتف وكانوا أصحاب شجر ملتف .

وقال قوم : الأيكة : الغيضة ، وليكة : اسم البلد حولها ، كما قيل في مكة وبكة ، قال أبو جعفر بن النحاس : لا يعلم (ليكة) اسم بلد .

قال ياقوت : الأيكة التي جاء ذكرها في كتاب الله عزّ وجلّ ، (كذب أصحاب الأيكة المرسلين) ، قيل : هي تبوك التي غزاها النبي ﷺ آخر غزواته ،

وأهل تبوك يقولون ذلك ويعرفونه ، ويقولون : إن شعيباً عليه السلام أرسل إلى أهل تبوك ، ولم أجد هذا في كتب التفسير ؛ بل يقولون : الأيكة أهل مدين ، قال ياقوت : ومدين وتبوك متجاورتان .

قلت : هذا خلاصة ما ذكره المفسرون والمؤرخون في التعريف بالأيكة التي ورد ذكرها في كتاب الله عز وجل ، ومما تقدّم نرى اختلافاً بين المفسرين في التعريف بأصحاب الأيكة ، فبعضهم يرى أن أصحاب الأيكة ومدين أمة واحدة ، وبعضهم يرى أنهما أمتان أرسل إليهما شعيب ، غير أن ابن كثير يرجح أنهما أمة واحدة وأنكر على من قال : إنهما أمتان مختلفتان - والله أعلم - وفي رسم (مدين) مزيد من الإيضاح .

الباب : بباء موحدة بعدها ألف وبعد الألف بباء موحدة : المراد به باب (الحطّة) من بيت المقدس .

قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ سَجَّداً﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً﴾ (٣) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٥٨ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٥٤ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٦١ .

قال ابن جرير في تفسيره : أمّا الباب الذي أمروا أن يدخلوه ، فإنه قيل : هو باب (الحطة) من بيت المقدس .

وروي بسنده عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (ادخلوا الباب سجّداً) قال : باب الحطة ، من باب إيلياء من بيت المقدس .

وروي بسنده عن السدي : (وادخلوا الباب سجّداً) ، أمّا الباب فباب من أبواب بيت المقدس .

وبسنده عن ابن عباس قوله : (وادخلوا الباب سجّداً) أنه أحد أبواب بيت المقدس ، وهو يدعى باب حطة . وأمّا قوله (سجّداً) ، فإن ابن عباس كان يتأوّلُه يعني الركع .

وبسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله : (ادخلوا الباب سجّداً) ، قال : ركعاً من باب صغير .

قال ابن جرير : وأصل السجود الانحناء لمن سجد له معظماً بذلك ، فكلّ منحنٍ لشيءٍ تعظيماً له فهو ساجد . ومنه قول الشاعر :

بجمع تضلّ البلق في حجراته ترى الأكم منه سجّداً للحوافر

يعني بقوله : (سجّداً) خاشعة خاضعة . ومن ذلك قول أعشى بني قيس ابن ثعلبة :

يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جوارا

فذلك تأويل ابن عباس قوله (سجّداً) ركعاً . لأن الراكع منحن وإن كان السّاجد أشدّ انحناء منه .

وقال القرطبي : والباب الذي أمروا بدخوله هو باب في بيت المقدس يعرف اليوم بـ(باب حطة) عن مجاهد وغيره . وقيل : باب القبّة التي كان يصلي

إليها موسى وبنو إسرائيل . و(سجّداً) قال ابن عباس : منحني ركوعاً . وقيل : متواضعين خضوعاً لا على هيئة متعيّنة .

وقال الشوكاني : قال جمهور المفسّرين : القرية هي بيت المقدس ، وقيل : إنها أريحاء قرية من قرى بيت المقدس ، وقيل : من قرى الشام .

والباب الذي أمروا بدخوله هو باب في بيت المقدس يعرف اليوم بباب حطة وقيل : هو باب القبة التي كان يصلي إليها موسى وبنو إسرائيل .

وقال النسفي : (وادخلوا الباب) ، باب القرية أو باب القبة التي كانوا يصلّون إليها ، وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام وإنما دخلوا الباب في حياته ، ودخلوا بيت المقدس بعده .

قلت : هذا خلاصة ما قاله المفسّرون في تحديد الباب الذي ورد ذكره في هذه الآيات الكريمة ، وفي رسم (القرية) مزيد من الإيضاح .
الباب : كالذي قبله .

قال الله تعالى : ﴿قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلا عليهما الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون﴾^(١) .

قال ابن جرير في تفسيره فيما رواه بسنده عن ابن عباس ، قوله : (قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما) ، والرجلان اللذان أنعم الله عليهما من بني إسرائيل : يوشع بن نون ، وكالوب بن يوفنة .

وروي بسنده عن قتادة قال : ذكر لنا أن الرجلين يوشع بن نون وكالب . فقال : (ادخلوا عليهم الباب) هي مدينة الجبّارين .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٢٣ .

وبسنده عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : (عليهم الباب) ، قرية الجبارين .

قال القرطبي : قوله تعالى : ﴿ قال رجلان من الذين يخافون ﴾ قال ابن عباس وغيره : هما يوشع وكالب بن يوقنا ويقال ابن قانيا . (أنعم الله عليهما) أي بالإسلام أو اليقين والصلاح . ﴿ ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ﴾ .

قال الشوكاني: قوله تعالى : ﴿ ادخلوا عليهم الباب ﴾ أي باب بلد الجبارين . قلت : وفي رسم (التيه) ورسم (القرية) مزيد من الإيضاح فيه كفاية إن شاء الله .

الباب : كالذي قبله : وهذا يقصد به الباب الذي استبق يوسف عليه السلام وامرأة العزيز إليه وهو باب البيت الذي كانا فيه . قال الله تعالى : ﴿ واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب ﴾ ^(١) .

قال ابن جرير : يقول جلّ ثناؤه : واستبق يوسف وامرأة العزيز باب البيت ، أما يوسف ففراره من ركوب الفاحشة لما رأى برهان ربه فزجر عنها . وأما المرأة فطلبها ليوسف لتقضي حاجتها منه التي راودته عليها ، فأدركته فتعلقت بقميصه فجذبتة إليها ، مانعة له من الخروج من الباب ، فقدته من دبر ، يعني شقته من خلف لا من قدام ، لأن يوسف كان هو الهارب ، وكانت هي الطالبة .

(١) سورة يوسف ، الآية : ٢٥ .

وروي بسنده عن مجاهد : (وألفيا سيّدها) ، قال : سيّدها زوجها (لدى الباب) ، قال : عند الباب .

وبسنده عن زيد بن ثابت قال : (السيد) ، الزوج .

وبسنده عن السديّ : (وألفيا سيّدها لدى الباب) ، قال : جالسا عند الباب ، وابن عمّها معه ، فلمّا رأته قالت : ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً ؟ .
إنه راودني عن نفسي ، فدفعته عن نفسي فشقت قميصه . قال يوسف:
بل هي راودتني عن نفسي وفررت منها فأدركتني فشقت قميصي .

فقال ابن عمها : تبيان هذا في القميص ، فإن كان القميص قد قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ﴿ وإن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين ﴾ فأتي بالقميص ، فوجده قدّ من دبر : ﴿ قال إنه من كيدكنّ إن كيدكنّ عظيم ، يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين ﴾ .

وقال القرطبي : قوله تعالى: (وألفيا سيّدها لدى الباب) أي وجدا العزيز عند الباب ، وعنّى بالسيد الزوج ، والقبط يسمّون الزوج سيّداً ، فلمّا رأت زوجها طلبت وجها للحيلة وكادت ، فقالت : (ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً) أي زنى . (إلا أن يسجن أو عذاب أليم) ، قال : (هي راودتني عن نفسي) .

وقال الشوكاني : قوله تعالى : (واستبقا الباب) أي تسابقا إليه ، يوسف يريد الفرار والخروج من البيت ، وامرأة العزيز تريد أن تسبقه إليه لتمنعه لأن تسابقهما كان إلى الباب الذي يخلص منه إلى خارج الدار ، (وألفيا سيّدها لدى الباب) أي وجدا العزيز هنالك ، وعنّى بالسيد الزوج ، لأن القبط يسمّون

الزوج سيّداً ، وإنما لم يقل سيّدهما ، لأن ملكه ليوسف لم يكن صحيحاً فلم يكن سيّداً له .

قال ابن كثير : (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب) يذكر الله تعالى ماكان من مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام عن نفسه وطلبها منه ما لا يليق بحاله ومقامه ، وكيف غلقت الأبواب عليها وعليه وتهيات له وتصنعت وهي مع هذا كله امرأة الوزير ، وبنت أخت الملك الريان ابن الوليد صاحب مصر .

والمقصود أنها دعتة إليها وحرصت على ذلك أشد الحرص فقال (معاذ الله إنه ربّي) يعني زوجها صاحب المنزل سيّدي (أحسن مثواي) أي أحسن إليّ وأكرم مقامي .

(واستبقا الباب) أي هرب منها طالباً إلى الباب ليخرج منه فراراً منها فاتبعته في أثره (وألفيا) أي وجدا (سيّدها) أي زوجها لدى الباب فبدرته بالكلام وحرّضته عليه ، (قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم) ^(١) .

وقال الصابوني : أقام يوسف الصديق في بيت عزيز مصر ، منعماً مكرماً ، وكان فائق الحسن والجمال . فلماً شبّ وكبر ، عشقته امرأة العزيز وشغفت به حباً ودعتة إلى نفسها ، ولقد كان يوسف طاهر النفس عفيف الخلق مستقيم السيرة ؛ استعصى على تلك الفتنة العارمة ووقف في وجه الشهوة والإغراء موقف المؤمن الحازم ... وقالت (هيت لك) ، قال : (معاذ الله إنه ربي) أي سيّدي (أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون).

(١) البداية والنهاية ج ١ ص : ٢٠٣ - ٢٠٤ .

وقال عفيف طيارة : كانت منة الله تعالى على يوسف بالجمال الرائع سبباً لمحنته ؛ وذلك أن زليخا امرأة العزيز (وزير الملك) رأت بعين الأثنى جمال يوسف ففحق قلبها واضطربت مشاعرها ، ولبثت وقتاً تتردد في إظهار شعورها نحو يوسف إلى أن غلب الحب عواطفها واستحوذ الضعف الطبيعي على مشاعرها ، فانتهزت فرصة وجوده في بيتها يوماً ، وأخذت تغريه بنفسها لبيادها الحب ، فعرضت عليه محاسنها ومفاتنها بعد أن أوصدت الأبواب - وقالت له : أقبل عليّ فقد هيأت نفسي لك ، ففرّ منها يوسف نفرة الغضب واستنكر منها ذلك الأمر قائلاً : إنيّ ألجأ إلى الله ليحميني من الإثم ، وكيف أرتكب وزوجك العزيز سيدي أكرمني وأحسن وفادتي ، أنه لا يفوز من يقابل الإحسان بالغدر والخيانة. أسرع يوسف إلى الباب يريد الإفلات منها وأسرعت وراءه لتحول دون خروجه ، وجذبت قميصه من الخلف لتمنعه من الخروج فتمزّق ؛ لكنه تمكّن من الخروج ، وفي هذه الحال وجدا عند الباب زوجها فبادرته باتهام يوسف بمحاولة اغتصابها وحرّضته على سجنه .

قلت : فيما تقدّم نرى أن العلماء المفسّرين يتفقون على تفاصيل أحداث محنة يوسف عليه السلام التي وقعت له بسبب مراودة امرأة العزيز له عن نفسه ، وأن هذا الحدث وقع في بيت العزيز وعلى يد امرأته وأن الباب الذي استبقا إليه هو باب بيت العزيز الذي يفضي بهما إلى خارج البيت ، غير أن الله سبحانه وتعالى بلطفه وكرمه أنجى يوسف عليه السلام من هذه المحنة .

وكان مسكن العزيز الذي وقع فيه الابتلاء ليوسف في مصر .
الباب ، كالذي قبله : المقصود به أحد أبواب مدينة مصر .

قال الله تعالى مخبراً عن نبيه يعقوب عليه السلام : ﴿وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتكول المتوكلون﴾^(١) .

قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره قال يعقوب لبنيه لما أرادوا الخروج من عنده إلى مصر ليمتاروا الطعام : يا بني لا تدخلوا مصر من طريق واحد ، وادخلوا من أبواب متفرقة . وذكر أنه قال ذلك لهم : لأنهم كانوا رجالاً لهم جمال وهيئة ، فخاف عليهم إذا دخلوا جماعة من طريق واحد ، وهم ولد رجل واحد ، فأمرهم أن يتفرقوا في الدخول إليها .

وروي بسنده عن الضحاك ﴿لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ قال : خاف عليهم العين .

وبسنده عن قتادة قوله : ﴿يا بني لا تدخلوا من باب واحد﴾ خشي نبي الله عليه السلام العين على بنيه كانوا ذوي صورة وجمال .

وبسنده عن محمد بن كعب ، ﴿لا تدخلوا من باب واحد﴾ قال : خشي عليهم العين .

وقال القرطبي : قوله تعالى : (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة - الآية) لما عزموا على الخروج خشي عليهم العين ، فأمرهم ألا يدخلوا مصر من باب واحد ، وكانت مصر لها أربعة أبواب ، وإنما خاف عليهم العين لكونهم أحد عشر رجلاً لرجل واحد ، وكانوا أهل جمال وكمال وبسطة ، قاله ابن عباس والضحاك وقاتدة وغيرهم .

(١) سورة يوسف ، الآية : ٦٧ .

معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم

[٣]

الشيخ سعد بن عبدالله الجنيدل *

بابل : بباء موحدة بعدها ألف وباء أخرى موحدة مكسورة وآخره لام : مدينة شهيرة في العراق .

قال الله تعالى : ﴿ وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ ^(١) .

قال القرطبي : قوله تعالى : (ببابل) بابل لا ينصرف للتأنيث والتعريف والعجمة ، وهي قطر من الأرض ، قيل : العراق وما والاها . قال ابن مسعود لأهل الكوفة : أنتم بين الحيرة وبابل . وقال قتادة : هي من نصيبين إلى رأس العين . وقال قوم : هي بالمغرب . قال ابن عطية : وهذا ضعيف . وقال قوم : هو جبل نهاوند ، قاله تعالى أعلم . واختلف في تسميته ببابل ، ف قيل : سمي بذلك لتبليل الألسن بها حين سقط صرح نمروذ . وقيل : سمي به لأن الله تعالى لما أراد أن يخالف بين ألسنة بني آدم بعث ريحاً فحشرتهم من الآفاق إلى بابل ، فبيلب الله ألسنتهم بها ، ثم فرقهم تلك الرياح في البلاد . والببلبة : التفريق ، قال معناه الخليل .

(١) سورة البقرة ، من الآية : ١٠٢ .

* بكالوريوس آداب من قسم التاريخ - جامعة الملك سعود بالرياض .

- الدبلوم العالي من كلية التربية - جامعة الملك سعود .

- عمل في مجال التعليم والتوجيه التربوي . له العديد من المؤلفات والمقالات المنشورة منها - :

معجم عالية نجد ، ومعجم الأمكنة الواردة في صحيح البخاري ، ومعجم الأمكنة الواردة في

المعلقات العشر وغيرها .

قال أبو عمرو بن عبد البر : من أخصر ما قيل في البلبلة وأحسنه ما رواه داود ابن أبي هند عن علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس أن نوحا عليه السلام لما هبط إلى أسفل الجوديّ ابتنى قرية وسمّاها ثمانين ، فأصبح ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة ، إحداها اللسان العربي ، وكان لا يفهم بعضهم عن بعض ..

قال البكري : بابل ، بالعراق مدينة السّحر ، معروفة .. وقال أصحاب الأخبار : بنى نمرود الخاطيّ المجدل ببابل ، طوله في السماء خمسة آلاف ذراع وهو البنيان الذي ذكره الله في كتابه ، فقال : ﴿قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخرّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ ^(١) .

قالوا : وبات الناس ولسانهم سرياني ، فأصبحوا وقد تفرّقت لغاتهم على اثنتين وسبعين لساناً ، وأصبح كل يببل بلسانه ، فسَمّي الموضع بابل .

وقال الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني : وكان اسمه خيتارث ، وربما سمّوا العراق بابل ، قال عمر بن أبي ربيعة وأتى البصرة ، فضافه فيها ابن هلال المعروف بصديق الجن :

يا أهل بابل ما نفست عليكم من عيشكم إلا ثلاث خصال

ماء الفرات وظلّ عيش بارد وسماع مستمعين لابن هلال

وقال ياقوت : بابل : بكسر الباء : اسم ناحية منها الكوفة ، والحلة ينسب إليها السحر والخمر ، قال الأخفش : لا ينصرف لتأنيثه ، وذلك أن اسم كل شيء مؤنث إذا كان علماً وكان على أكثر من ثلاثة أحرف فإنه لا ينصرف

وقال المفسّرون في قوله تعالى : ﴿وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾ ، قيل بابل العراق ، وقيل بابل ديباوند ، وقال أبو الحسن : بابل الكوفة ، وقال أبو معشر : الكلدانىون هم الذين كانوا ينزلون بابل في الزمن الأول ، ويقال : إن أوّل من سكنها نوح

(١) سورة النحل ، الآية : ٢٦

عليه السلام ، وهو أول من عمرها ، وكان قد نزلها بعقب الطوفان ، فسار هو ومن خرج معه من السفينة إليها لطلب الدفء فأقاموا بها وتناسلوا فيها وكثروا من بعد نوح وملكوا عليهم ملوكاً ، وابتنوا بها المدائن ، واتصلت مساكنهم بدجلة والفرات إلى أن بلغوا من دجلة إلى أسفل كسكر ، ومن الفرات إلى ما وراء الكوفة وموضعهم هو الذي يقال له السّواد ، وكانت ملوكهم تنزل بابل وكان الكلدانيون جنودهم فلم تنزل مملكتهم قائمة إلى أن قتل دارا آخر ملوكهم ، ثم قتل منهم خلق كثير فذلّوا وانقطع ملكهم .

وقد أطل ياقوت في حديثه عن بابل ، في وصفها وغرائب ما فيها وذكر أشياء كثيرة ليست من شأننا .

وقال الحميري : بابل : بالعراق ، كانت من عظمها واستبشاع أمرها لا تكاد تجعل من عمل الآدميين وهي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وما أنزلَ على الملكين ببابل ﴾ .

ويقال إن الضحاك أول من بناها ، وسكنها العمالقة ، ودخلها إبراهيم عليه السلام ، ويقال : إن بها مولده وقيل : بل ولد بالسوس من أرض الأهواز ، وقيل : بكوثر من أرض السواد ، وينسب إليها السحر والخمر ويقال : إن بها هاروت وماروت يعذبان إذ اختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة وإنهما معلقان في سرب تحت الأرض كالحبلين ، وأن بعض الناس رآهما كذلك ، فجادلهم يهودي بها لرغبته في ذلك فلما رأى منظرهما رأى منظراً عظيماً وأمرأً هائلاً أفزع ، هذا سمعته من الفقيه ابن البراء يحكى عن مجاهد صاحب التفسير ، ولا أدري أهو الرائي لهما أو غيره فالله أعلم .

ويقال : إن نمرود أسسها وهي مدينة ضاحكة المنظر جميلة المنصب زاهية البناء واسعة الفناء قد جمعت إلى حسن المنظر من كل جانب رصانة البنيان وبهاء المنصب ، وكانت سهلة بطحاء ديمومة فيحاء مربعة لها في كل تربيع حصان عظيمان ، وسائر ذلك من سورها لا يكاد من يبلغه خبره يصدق بصفته لكثرة ارتفاعه وفرط اتقانه .

.. قالوا : وبابل أقدم بناء بني بعد الطوفان وأن منها تفرق ولد نوح عليه السلام ،

وأن الذي هدمها كسرى الأول ملك الفرس لما تغلب على أرض بابل ، وملوك بابل هم النبط ، وزعموا أنهم أول ملوك العالم وأن الفرس أخذت الملك منهم كما أخذته الروم من اليونانيين وأول ملوكهم نمرود ، وهم الذين شيّدوا البنيان ومدّنوا المدن وكوّروا الكور وشقوا الأنهار ورتبوا الجيوش وجعلوا الألوية والأعلام .

وقد تحدث المسعودي عن إقليم بابل فقال : وأوسط الأقاليم الإقليم الذي ولدنا به ، وإن كانت الأيام أنأت بيننا وبينه ، وساحقت مسافتنا عنه ، وولدت في قلوبنا الحنين إليه ، إذ كان وطننا ومسقطنا ، وهو إقليم بابل ، وقد كان هذا الإقليم عند ملوك الفرس جليلاً وقدره عظيماً ، وكانت عنايته إليهم ، وكانوا يشتون بالعراق ، وأكثرهم يصيّفون بالجبال وينتقلون في الفصول إلى الصرود من الأرض والحرور ، وقد كان أهل المروءات في الإسلام كأبي دلف القاسم بن عيسى العجلي وغيره يشتون في الحرور ، وهو العراق ، ويصيّفون في الصرود ، وهي الجبال وفي ذلك يقول أبو دلف :

*** وإني أمرؤ كسرويّ الفعّال أصيف الجبال وأشتو العراقا**

وذلك بما خصّ به هذا الإقليم من كثرة مرافقه ، واعتدال أرضه ، وغضار عيشه ، ومادة الوافدين إليه ، وهما دجلة والفرات^(١) .

قلت وقد اتفق المؤرخون على تحديد إقليم بابل في العراق ، وذكر بعضهم عن مدينة بابل أشياء لا تتفق مع طبيعة الإنسان وتحضره ونشاطه في العمران ، لذلك لم نذكرها لأنها ليست من شأننا في بحثنا هذا .

* وقد حدد الدكتور السامرائي إقليم بابل بقوله : إقليم بابل يشمل منطقة أكد الكائنة في الوسط - يعني وسط العراق - وهي شمال بلاد سومر الجنوبية التي استولى عليها البابليون بعد ذهاب دولتهم الجنوبية ، والسومريون أمة لم يتفق المؤرخون

(١) مروج الذهب ٢ - ٣٨ - ٣٩ .

في عصرنا على أصلهم - ومن أين جاءوا ولكنهم اتفقوا على أنهم ليسوا ساميين ولغتهم ليست سامية .

- وبابل الحديثة ، وهي اسم لإحدى المحافظات في العراق ومركزها مدينة الحلة^(١) .
البحر : بباء موحدة مفتوحة وحاء مهملة ساكنة وآخره راء مهملة : واحد البحار ، والمقصود هنا هو بحر القلزم (البحر الأحمر) .

قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾^(٢) .
وقال تعالى : ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾^(٣) .
وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا...﴾^(٤) .

وقال تعالى : ﴿أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾^(٥) .
وقال تعالى : ﴿وَاتَرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مَغْرُقُونَ﴾^(٦) .
وقال تعالى : ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾^(٧) .

روى القرطبي بسنده عن عبد الله بن مسعود أن موسى عليه السلام حين أسرى بني إسرائيل بلغ خبره فرعون فأمر بشاة فذبحت ، ثم قال لا والله لا يفرغ من سلخها حتى يجتمع لي ستمائة ألف من القبط ، قال : فانطلق موسى حتى انتهى إلى البحر ، فقال له

(١) نظرات : في المعجم الكبير رقم ١٢٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٥٠ .

(٣) سورة يونس ، الآية : ٩٠ .

(٤) سورة طه ، الآية : ٧٧ .

(٥) سورة الشعراء ، الآية : ٦٣ .

(٦) سورة الدخان ، الآية : ٢٤ .

(٧) سورة الأعراف ، الآية : ١٣٨ .

البحر : لقد استكبرت ياموسى ، وهل فرقت لأحد من ولد آدم فأفرق لك ، قال ومع موسى رجل على حصان له قال : فقال له ذلك الرجل : أين أمرت يانبي الله ؟ قال ما أمرت إلا بهذا الوجه ، قال فأقحم فرسه فسبح فخرج . فقال أين أمرت يانبي الله ؟ قال ما أمرت إلا بهذا الوجه ، قال : والله ما كذبت ولا كذبت ، ثم اقتحم الثانية فسبح به حتى خرج ، فقال أين أمرت يانبي الله ؟ فقال : ما أمرت إلا بهذا الوجه ، قال : والله ما كذبت ولا كذبت ، قال فأوحى الله إليه : ﴿ أن اضرب بعصاك البحر ﴾ فضربه موسى بعصاه ، ﴿ فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ ، فكان فيه اثنا عشر فرقا لاثنى عشر سبطا ، لكل سبط طريق يتراءون ، وذلك أن أطواد الماء صار فيها طيقانا وشبابيك يرى منها بعضهم بعضا ، فلما خرج أصحاب موسى وقام أصحاب فرعون التطم البحر عليهم فأغرقهم . ويذكر أن البحر هو بحر القلزم ، وأن الرجل الذي كان مع موسى على الفرس هو فتاه يوشع بن نون .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد ابن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال : لقد ذكر لي أنه خرج فرعون في طلب موسى على سبعين ألفاً من دهم الخيل ، سوى ما في جنده من شهب الخيل ، وخرج موسى حتى إذا قابله البحر ولم يكن له عنه منصرف ، طلع فرعون في جنده من خلفهم ، ﴿ فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون ﴾ قال موسى ، ﴿ كلاً إن معي ربي سيهدين ﴾ أي للنجاة ، وقد وعدني ذلك ولا خلف لوعده .

حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحاق قال : أوحى الله إلى البحر - فيما ذكر لي - : إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له ، قال : فبات البحر يضرب بعضه بعضا فرقا من الله وانتظاره أمره ، فأوحى الله إلى موسى ﴿ أن اضرب بعصاك البحر ﴾ فضربه بها ، وفيها سلطان الله الذي أعطاه ، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، أي كالجبل على نشز من الأرض ، يقول الله لموسى : ﴿ فاضرب لهم طريقا في

البحر يبساً لا تخاف دركا ولا تخشى ﴿ فلما استقرَّ له البحر على طريق قائمة يبسة ، سلك فيه موسى ببني إسرائيل وأتبعه فرعون بجنوده .

حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي قال : حَدَّثْتُ أَنَّهُ لَمَّا دَخَلْتُ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، أَقْبَلَ فِرْعَوْنُ وَهُوَ عَلَى حِصَانٍ لَهُ مِنَ الْخَيْلِ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى شَفِيرِ الْبَحْرِ ، وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى حَالِهِ ، فَهَابَ الْحِصَانُ أَنْ يَنْفِذَ ، فَعَرَضَ لَهُ جَبْرِيلُ عَلَى فَرَسٍ أَثْنَى وَدِيقٍ ، فَقَرَّبَهَا مِنْهُ ، فَشَمَّهَا الْفَحْلُ ، فَلَمَّا شَمَّهَا قَدَّمَهَا ، فَتَقَدَّمَ مَعَهَا الْحِصَانُ عَلَيْهِ فِرْعَوْنُ ، فَلَمَّا رَأَى جُنْدَ فِرْعَوْنَ فِرْعَوْنٌ قَدْ دَخَلَ ، دَخَلُوا مَعَهُ وَجَبْرِيلُ أَمَامَهُ ، وَهُمْ يَتَّبِعُونَ فِرْعَوْنَ ، وَمِيكَائِيلُ عَلَى فَرَسٍ مِنْ خَلْفِ الْقَوْمِ يَسُوقُهُمْ ، يَقُولُ : الْحَقُّوْا بِصَاحِبِكُمْ" حَتَّى إِذَا فَصَلَ جَبْرِيلُ مِنَ الْبَحْرِ لَيْسَ أَمَامَهُ أَحَدٌ ، وَوَقَفَ مِيكَائِيلُ عَلَى نَاحِيَّتِهِ الْأُخْرَى ، وَلَيْسَ خَلْفَهُ أَحَدٌ ، طَبَّقَ عَلَيْهِمُ الْبَحْرُ ، وَنَادَى فِرْعَوْنُ - حِينَ رَأَى مِنْ سُلْطَانِ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا وَقُدْرَتَهُ مَا رَأَى ، وَعَرَفَ ذَلِكَ ، وَخَذَلَتْهُ نَفْسُهُ - : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

وقال ابن جرير : حدثنا المثنى ، قال : حدثنا حجاج ، قال حدثنا حماد عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس : أن النبي ﷺ قال : لَمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ قَالَ : ﴿ آمَنْتَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾ فَقَالَ جَبْرِيلُ : يَا مُحَمَّدُ لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَخْذُ مِنْ رِمَالِ الْبَحْرِ وَأُدْسُهُ فِيهِ مَخَافَةً أَنْ تَدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ .

حدثنا ابن وكيع قال حدثنا الحسين بن علي عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال : خطب الضحَّاك بن قيس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إِنْ فِرْعَوْنُ كَانَ عَبْدًا طَآغِيًّا نَاسِيًّا لَذِكْرِ اللَّهِ ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ : ﴿ آمَنْتَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ، قَالَ اللَّهُ : ﴿ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .

وفي تأويل قوله تعالى : ﴿فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون﴾ .

قال أبو جعفر : يقول الله تعالى ذكره لفرعون : اليوم نجعلك على نجوى من الأرض ببدنك ، ينظر إليك هالكاً من كذب بهلاكك (لتكون لمن خلفك آية) ، يقول : لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك فينزعرون عن معصية الله والكفر به والسعي في أرضه بالفساد . حدثنا محمد بن الأعلى قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي السليل عن قيس بن عباد وغيره قال : قالت بنو إسرائيل لموسى : إنه لم يمت فرعون ، قال : فأخرجه الله إليهم ينظرون إليه مثل الثور الأحمر .

قلت : وقد روى ابن جرير هذه الأخبار من طرق متعددة يكمل بعضها بعضها ويوضح بعضها بعضاً .

وقال ياقوت : بحر القلزم وهو شعبة من بحر الهند أوله عند بلاد البربر والسودان وعدن ثم يمتد مغرباً ، وفي أقصاه مدينة القلزم قرب مصر ، وبذلك سمى بحر القلزم ويسمى في كل موضع يمر به باسم ذلك الموضع ، فعلى ساحله الجنوبي بلاد البربر والحيش ، وعلى ساحله الشرقي بلاد العرب .. فهو يمر بساحله الشرقي على بلاد اليمن وجدّه والجار وينبع ومدين ، مدينة شعيب النبي ، عليه السلام وأيلة إلى القلزم في منتهاه ، وهو الموضع الذي غرق فيه قوم فرعون وفرعون أيضاً ، وبين هذا الموضع وفسطاط مصر سبعة أيام . والقلزم : بالضم ثم السكون ثم زاي مضمومة ، وميم ، القلزمة : ابتلاع الشيء ، يقال : قلزمه إذا ابتلعه ، وسمي بحر القلزم قلزما لالتهامه من ركبته : وهو المكان الذي غرق فيه فرعون وآله .

وقال : وبين مدينة القلزم ومصر ثلاثة أيام ، وهي مدينة مبنية على شفير البحر ينتهي هذا البحر إليها .. وليس بها زرع ولا شجر ولا ماء وإنما يحمل إليها من ماء آبار بعيدة منها ، ومنها تحمل حمولات مصر والشام إلى الحجاز واليمن .

قلت : هذا موجز ما اطلعت عليه من خبر نجاة موسى وقومه وهلاك فرعون وقومه ، وما قيل في البحر الذي أهلك الله فيه فرعون وقومه ، وهو بحر القلزم المعروف في هذا العهد (بالبحر الأحمر).

ويفهم من النصوص المتقدمة أن البحر الذي أنجى الله فيه موسى عليه السلام وقومه ، وأهلك فيه فرعون وقومه ، هو خليج السويس ، الذي هو شعبة ممتدة من البحر الأحمر ، معترضة بين مصر وبين سيناء وبلاد الشام ، وهو أقرب البحار إلى مصر ، وكان مدينة القلزم التي ينسب إليها هذا البحر عند نهايته ، وقد حلت محلها في هذا العهد مدينة السويس ، ومن ثم أصبح يسمى خليج السويس ، وقد صرح ياقوت بقوله : في وصف هذا البحر : القلزم في منتهاه ، وهو الموضع الذي غرق فيه قوم فرعون وفرعون أيضاً ، وبين هذا الموضع وفسطاط مصر سبعة أيام ، بأن خليج السويس هو الذي غرق فيه فرعون وقومه.

ويؤيده ما قاله ابن كثير في تفسيره قوله تعالى: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر﴾ إلى قوله : ﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾ المقصود أن موسى عليه السلام ، لما انفصل من بلاد مصر وواجه بلاد بيت المقدس وجد فيها قوماً من الجبارين الحيثانيين والفزاريين والكنعانيين وغيرهم ، وبلاد هؤلاء هي التي تقابل هذا الخليج من الجانب الآخر الذي نجا فيه موسى وقومه.

معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم

[٤]

الشيخ سعد بن عبدالله الجنيدل *

البحر : بباء موحدة وحاء مهملة وآخره راء ، كالذي قبله : ويترجح من أقوال المفسرين أن البحر المقصود هو بحر القلزم (البحر الأحمر) .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا ﴾ (١) .

قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : وأسأل يا محمد هؤلاء اليهود وهم مجاوروك ، عن أمر ﴿ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ يقول : كانت بحضرة البحر ، أي : بقرب البحر وعلى شاطئه .

واختلف أهل التأويل فيها ، فقال بعضهم : هي أيلة .

وروي بسنده عن ابن عباس : ﴿ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ قال هي قرية يقال لها : (أيلة) بين مدين والطور .

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٦٣ .

* بكالوريوس آداب من قسم التاريخ - جامعة الملك سعود بالرياض .

- الدبلوم العالي من كلية التربية - جامعة الملك سعود .

- عمل في مجال التعليم والتوجيه التربوي . له العديد من المؤلفات والمقالات المنشورة منها - : معجم عالية نجد ، ومعجم الأمكنة الواردة في صحيح البخاري ، ومعجم الأمكنة الواردة في المعلقات العشر وغيرها .

السنة الرابعة - العدد الرابع عشر

البحرنية

١١

ربيع الآخر ١٤٢٢هـ / يوليو ٢٠٠١م

ويسنده عن عبدالله بن كثير في قوله : ﴿ وَاسْتَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ قال : سمعنا أنها أيلة .

ويسنده عن مجاهد في قوله : ﴿ وَاسْتَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ قال : أيلة .

وقال آخرون : معناه : ساحل مدين .

ويسنده عن قتادة : ﴿ وَاسْتَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ الآية ذكر لنا أنها كانت قرية على ساحل البحر يقال لها أيلة .

وقال آخرون : هي مقنا .

وروي بسنده عن ابن زيد في قوله : ﴿ وَاسْتَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ قال : هي قرية يقال لها مقنا بين مدين وعينوني .

وقال آخرون : هي مدين .

وروي بسنده عن ابن عباس قال : هي قرية بين أيلة والطور يقال لها : مدين .

قال ابن جرير : والصواب من القول في ذلك أن يقال : هي قرية حاضرة البحر وجائز أن تكون أيلة ، وجائز أن تكون مدين ، وجائز أن تكون مقنا ؛ لأن كل ذلك حاضرة البحر ، ولا خبر عن رسول الله ﷺ يقطع العذر بأيّ ذلك من أيّ ، والاختلاف فيه على ما وصفت .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : هي قرية يقال لها : أيلة ، بين مدين والطور وكذا قال عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي ، وقال عبدالله بن كثير القارئ : سمعنا أنها أيلة وقيل هي مدين وهو رواية عن ابن عباس ، وقال ابن زيد : هي قرية يقال لها : مقنا بين مدين وعينوني .

قلت : وسيأتي الحديث مستوفى عن هذا البحر في الحديث عن القرية ، في رسم

(القرية) - إن شاء الله - بما فيه كفاية .

بدر : بباء موحدة مفتوحة ودال مهملة ساكنة وآخره راء مهملة : ماء مشهور بين مكة والمدينة .

قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

قال ابن جرير : يعني بذلك جل ثناؤه : وأن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ، وينصركم ربكم ، (ولقد نصركم الله ببدر) على أعدائكم وأنتم يومئذ (أذلة) يعني : قليلون ، في غير منعة من الناس ، حتى أظهركم الله على عدوكم ، مع كثرة عددهم وقلة عددكم ، وأنتم اليوم أكثر عدداً منكم حينئذ ، فإن تصبروا لأمر الله ينصركم كما نصركم ذلك اليوم ، (فاتقوا الله) ، يقول تعالى ذكره : فاتقوا ربكم بطاعته واجتناب محارمه ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ يقول : لتشكروه على ما مَنَّ به عليكم من النصر على أعدائكم وإظهار دينكم ، ولما هداكم له من الحق الذي ضلَّ عنه مخالفوكم .

قال : واختلف في المعنى الذي من أجله سمِّي بدر (بدرأ) فقال بعضهم : سمي بذلك لأنه كان ماء لرجل يسمى بدرأ ، فسمي باسم صاحبه ، عن الشعبي .

وأنكر ذلك آخرون وقالوا: ذلك اسم سميت به البقعة كما سمى سائر البلدان بأسمائها . ويسنده عن الضحاك : بدر ماء عن يمين طريق مكة ، بين مكة والمدينة .

ويسنده عن قتادة قوله : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ، وبدر ماء بين مكة والمدينة ، التقى عليه نبي الله ﷺ والمشركون ، وكان أول قتال قاتله نبي الله ﷺ . وذكر لنا أنه قال لأصحابه يومئذ : (أنتم اليوم بعدة أصحاب طالوت يوم لقي جالوت) . فكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، والمشركون يومئذ ألف ، أو راهقوا ذلك .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٣ .

قال ياقوت : بدر : بالفتح ثم السكون . قال الزَّجَّاج : بدر أصله الامتلاء ، يقال غلام بدر إذا كان شاباً ممتلئاً لحماً ، ويقال : قد بدر فلان إلى الشيء وبادر إليه إذا سبق ، ومعناه استعمل غاية قوته وقدرته على السرعة أي استعمل ملء طاقته .

وسمى القمر ليلة الأربعة عشر بدرّاً لتمامه وعظمه .

وبدر : ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء بينه وبين الحار ، وهو ساحل البحر ليلة ، ويقال : إنه ينسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة وقيل : بل هو رجل من بني ضمرة سكن هذا الموضع فنسب إليه ثم غلب اسمه عليه .

وقال الزبير بن بكار : قريش بن الحارث بن يخلد ويقال : مخلد بن النضر بن كنانة به سميت قريش فغلب عليها لأنه كان دليلها وصاحب ميرتها ، فكانوا يقولون جاءت غير قريش وخرجت غير قريش ، قال : وابنه بدر بن قريش به سميت بدر التي كانت بها الوقعة المباركة ، لأنه كان احتفرها ، وبهذا الماء كانت الوقعة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام وفرّق بين الحقّ والباطل ، في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة .

وبين بدر والمدينة سبعة برد : برید بذات الجيش ، وبرید عبود ، وبرید المرغة ، وبرید المنصرف ، وبرید ذات أجدال ، وبرید المعلاة ، وبرید الأثيل ، ثم بدر ، وبدر الموعد وبدر القتال وبدر الأولى والثانية : كله موضع واحد .

وقد نسب إلى بدر جميع من شهدا من الصحابة الكرام ، ونسب إلى سكنى الموضع أبو مسعود البدری واسمه عقبة بن عمر بن ثعلبة بن أسيرة بن عسيرة بن عطية بن جدارة ابن عوف بن الحارث بن الخزرج ، شهد العقبة الثانية وكان أصغر من شهدا .

وقال البكري : بدر : ماء على ثمانية وعشرين فرسخاً ، من المدينة في طريق مكة ومن بدر إلى الجار ستة عشر ميلاً وميرتها من الجار ^(١) .

(١) الجار كانت ميناء على ساحل البحر الأحمر .

وبدر عينان جاريتان عليهما الموز والعنب والنخل . قال عبدالله بن جعفر بن مصعب الزبيري ، عن مصعب بن عبدالله : كان قريش بن بدر بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة دليل بني كنانة في تجارتهم ، فكان يقال قدمت غير قريش ، فسميت قريش به ، قال وهو صاحب بدر الذي لقي عليه رسول الله ﷺ مشركي قريش ، أنبط هنالك بئراً فنسبت إليه .

وروى زكريا عن الشعبي ، قال : سميت بدرأ ؛ لأنه كان ماء لرجل من جهينة اسمه بدر . قال الواقدي : ذكرت ذلك لعبدالله بن جعفر ، ومحمد بن صالح ، فأنكراه ، وقالوا : لأي شيء سميت الصفراء ولأي شيء سمي الجار إنما هو اسم الموضع . قال وذكرت ذلك ليحيى بن النعمان الغفاري فقال : سمعت شيوخنا من غفار يقولون : هو ماؤنا ومنزلنا ، وما ملكه أحد قط يقال له : بدر وما هو من بلاد جهينة إنما هو من بلاد غفار . قال الواقدي : وهو المعروف عندنا .

قال الضحاك : بدر ماء عن يمين طريق مكة بينها وبين المدينة . وبدر يذكر ولا يؤث ، جعلوه اسم ماء .

قال ابن إسحاق : نزلت قريش بالعدوة القصوى من الوادي ، خلف العقنقل وبطن الوادي هو ليليل ، وبين العقنقل الكثيب الذي خلفته قريش ، والقليل ببدر هو في العدوة الدنيا من بطن ليليل إلى المدينة .

- غزوة بدر الكبرى : سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في غير لقريش عظيمة ، فيها أموال لقريش وتجارة من تجارتهم وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون منهم مخزومة بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وعمرو بن العاص بن وائل بن هشام ، فندب رسول الله ﷺ المسلمين إليهم وقال : هذه غير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها ، فانتدب الناس فحفّ بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم

لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسّس الأخبار ويسأل من لقي من الركبان تخوفاً على أمر الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان : أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ، فحذر عند ذلك ، فاستأجر ضمضم ابن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة . فتجهّز الناس سراعاً للخروج وقالوا : أیظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ، كلاً والله ليعلمنّ غير ذلك ، فكانوا بين رجلين ، إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً .

وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد . إلا أن أبا لهب بن عبدالمطلب تخلف ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، استأجره وبعثه فخرج عنه وتخلف أبو لهب . وخرج رسول الله ﷺ في ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه - قال ابن هشام : خرج (يوم الإثنين) لثمانى ليال خلون من شهر رمضان - واستعمل عمر بن أم مكتوم - ويقال اسمه : عبدالله بن أم مكتوم أبا بني عامر بن لؤي على الصلاة بالناس ، ثم ردّ أبا لبابة من الرّوّحاء واستعمله على المدينة .

قال ابن إسحاق : ودفع اللّواء إلى مصعب بن عمير بن هشام بن عبد مناف بن عبدالدار ، قال ابن هشام : وكان أبيض .

قال ابن إسحاق : وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوان ، إحداهما مع علي بن أبي طالب يقال لها العقاب ، والأخرى مع بعض الأنصار .

وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم ، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش ، ثم قال : سيروا وأبشروا ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم .

وأقبل أبو سفيان بن حرب حتى تقدّم العير حذراً ، حتى ورد الماء ، يعني ماء بدر - فعلم بقرب النبي ﷺ وأصحابه منه فرجع إلى أصحابه سريعاً ، فضرب وجهه غيره عن الطريق ، فساحل بها ، وترك بدرأً بيسار وانطلق حتى أسرع .

قال ابن إسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز غيره ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجاها الله فارجعوا ، فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع حتى نرد بدرأً فنقيم عليه ثلاثة فننحر الجزور ، ونطعم الطعام ، ونسقي الخمر وتعذف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها ، فامضوا .

قال ابن إسحاق : ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي خلف العقنقل وبطن الوادي ، وهو ليليل بين بدر وبين العقنقل الكثيب الذي خلفه قريش ، والقلب ببدر في العدو الدنيا من بطن ليليل إلى المدينة .. فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم الماء ، حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ثم أمر بالقلب فغوّرت ، وبنى حوضاً على القليل الذي نزل عليه ، فملئ ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية .

قال ابن إسحاق : وقد ارتحلت قريش حين أصبحت ، فأقبلت فلما رآها رسول الله ﷺ تصوب من العقنقل - وهو الكثيب الذي جاءوا منه إلى الوادي - قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تحادك وتكذب رسولاك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم أحنهم الغداة .

قال ابن إسحاق : ثم تراحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله ﷺ أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إن اكتنفكم القوم فانفحوهم عنكم بالنبل ، ورسول الله ﷺ في العريش ، معه أبو بكر الصديق .

فكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبعة عشر من شهر رمضان .

قال : ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرّضهم ، وقال : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حفنة من الحصاء فاستقبل قريشاً بها ، ثم قال : شأهت الوجوه ، ثم نفجهم بها ، وأمر أصحابه ، فقال : شدّوا ، فكانت الهزيمة ، فقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم .

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر : أحد أحد .

قال ابن إسحاق : فجميع من شهد بدرًا من المسلمين ، من المهاجرين والأنصار من شهدا منهم ، ومن ضرب له بسهمه وأجره ثلاث مائة رجل وأربعة عشر رجلاً ، من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلاً ، ومن الأوس واحد وستون رجلاً ، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً .

غزوة بدر الآخرة

كانت هذه الغزوة في شهر شعبان سنة أربع .

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة الرقاع ، أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً . ثم خرج في شعبان إلى بدر ، لميعاد أبي سفيان ، حتى نزله .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبدالله بن عبدالله بن أبيّ بن سلول

الأنصاري .

قال ابن إسحاق : فأقام عليه ثمانى ينتظر أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنّة ، من ناحية الظهران ، وبعض الناس يقول : قد بلغ عسفان ، ثم بدا له في الرجوع ، فقال : يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر ، وتشربون فيه اللبن وإن عامكم هذا عام جذب وإني راجع فارجعوا ، فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السوق ، يقولون : إنما خرجتم تشربون السوق .

وأقام رسول الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده ، فأتاه مخشي بن عمرو الضمري وهو الذي كان وادعه على بني ضمرة في غزوة ودان ، فقال : يا محمد أجت للقاء قريش على هذا الماء ، قال نعم : يا أبا بني ضمرة ، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك ، قال : لا والله يا محمد ، ما لنا بذلك منك من حاجة .

- قلت : ولعبدالله بن رواحة والحسان بن ثابت في ذلك شعر ذكره بن هشام في سيرته ، وقلت : هذا هو بدر الذي جرت فيه غزوتنا رسول الله ﷺ ، وهو الذي ورد ذكره في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف .

ونشأت في بدر بلدة نامية "تبعد عن المدينة المنورة (١٥٥) كيلاً وعن مكة (٣١٠) أكيال ، وتبعد عن سيف البحر قرابة (٤٥) كيلاً وكان ميناؤها الجار . فلما اندرست قامت بالقرب منها بلدة (الرايس) ومنها اليوم يجلب السمك إلى بدر ، وسكانها حرب ، غالبهم بنو صبح ، وبها مدارس ومسجد جامع ، وإمارة عموم وادي الصفراء وساحل الجار" (١) .

وبلدة بدر تابعة في كل شئونها الإدارية والاجتماعية لإمارة المدينة ، وموقعها بالنسبة للمدينة في الجنوب الغربي .

بدر أيضاً كالذي قبله : جبل أحمر ، يقع في ناحية وادي الركا اليسرى ، يمر مجرى الركا بينه وبين هضاب الكفل ، وفيه ماء لقبيلة الدواسر وهو واقع في ناحية بلادهم الشمالية مما يلي بلاد قحطان ، واقع في بلاد بني الحريش قديماً ومعروف أن بلاد بني عامر الحريش وغيرهم تشمل اليوم بلاد الدواسر وبعضاً من بلاد قحطان في هذا العهد ، والماء الذي فيه يسمى : البدرية ، تابع لإمارة الدواسر .

وقد ذكره ياقوت ، وقال : ويدر جبل في بلاد باهلة بن أعصر ، وهناك أرمام الجبل

(١) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية - ٤١ .

المعروف ، وأحد جبلين يقال لهما : بدران في أرض بني الحريش واسم الحريش : معاوية بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

قلت : وهذا الجبل أصبح يذكر معرّفاً بالألف واللام : فيقولون له ، البدر ، وللماء الذي فيه البدرية نسبة إليه .

قال ياقوت : وبدر أيضاً : مخلاف باليمن ، وهو غير الأول .

وبدر أيضاً : محافظة من محافظات إمارة نجران في هذا العهد .

بطن مكة : بباء موحدة مفتوحة وطاء مهملة ساكنة وآخره نون موحدة ، مضاف إلى

مكة البلد الحرام : موضع في مكة .

قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ ^(١) .

قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره لرسوله ﷺ ، والذين بايعوه ببيعة الرضوان :

﴿ وهو الذي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ يعني أن الله كَفَّ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا خَرَجُوا عَلَى عَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَلْتَمِسُونَ غَرَّتَهُمْ لِيَصِيبُوا مِنْهُمْ ، فلما بعث رسول الله ﷺ فَاتِي بِهِمْ أَسْرَى ، فَخَلَّى عَنْهُمْ رَسُولُ ﷺ وَمَنْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَقْتُلْهُمْ فَقَالَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ : وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِي هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ عَنْكُمْ ، وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ .

روي بسنده عن عبدالله بن مغفل أن رسول الله ﷺ كان جالساً في أصل شجرة بالحديبية ، وعلى ظهره غصن من أغصان الشجرة فرفعتها عن ظهره ، وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بين يديه وسهيل بن عمرو ، وهو صاحب المشركين ، فقال رسول الله ﷺ لعليّ : (اكتب باسم الله الرحمن الرحيم) ، فأمسك سهيل بيده ، فقال : ما نعرف الرحمن ، اكتب في قضيتنا مانعرف ، فقال رسول الله ﷺ : (اكتب باسمك اللهم) ، فكتب فقال :

(١) سورة الفتح ، الآية : ٢٤ .

(هذا ما صالح محمد رسول الله أهل مكة) فأمسك سهيل بيده ، فقال : لقد ظلمناك إن كنت رسولاً ، اكتب في قضيتنا ما نعرف قال: (اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب وأنا رسول الله) فخرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح ، فثاروا في وجوهنا ، فدعا عليهم رسول الله ﷺ ، فأخذ الله بأبصارهم ، فقمنا إليهم فأخذناهم ، فقال لهم رسول ﷺ ، (هل خرجتم في أمان أحد) قال : فخلّى عنهم ، قال : فأنزل الله ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ .

وروي بسنده عن أنس بن مالك أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الفجر ليقتلوهم ، فأخذهم رسول الله ﷺ فأعتقهم : فأنزل الله ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ .

وروي الفاكهي بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه - قال : لما كان يوم الحديبية، نزل على رسول ﷺ ، ثمانون رجلاً من التنعيم من أهل مكة في سلاحهم ، فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذوا سلماً . قال : فنزلت هذه الآية ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ قال : يعنى أن جبل التنعيم من مكة .

وقال الفاكهي : وكة : الوادي الذي به الكعبة ، وبطن مكة سائر الوادي مكة : فمن ذلك المربع - حائط بن برمك - هلمّ جرأ .

وفخ وهو أعظمها وصدره شعب بني عبدالله بن خالد بن أسيد (١) .

وقال أيضاً : بطن مكة مما يلي ذا طوى ما بين الثنية البيضاء التي تسلك إلى التنعيم ، إلى ثنية الحصاص التي بين ذي طوى وبين الحصاص .

(١) فغ هو الذي أصبح يدعى الزاهر

قال المحقق : الثنية البيضاء هي الثنية التي تؤدي بك إلى التنعيم ، بينها وبين مسجد عائشة ما يقارب الكيلو الواحد .

وثنية الحصاحص : هو الريع الذي على يمينك وأنت متوجّه إلى الشهداء بعد أن تجعل ريع الكحل في ظهرك ، وهذا الريع يهبط بك إلى اللصوص قادماً من الشهداء ، ويقع هذا الريع في جبل الحصاحص ، بل إن جبل الحصاحص ينحصر بين ريع الكحل وريع الحصاحص هذا .

فهذه الفسحة العريضة وما تضم من حيّ الزهراء والشهداء كلها هي بطن مكة .
وقال الأزرقى : بطن مكة مما يلي ذا طوى ما بين الثنية البيضاء التي تسلك إلى التنعيم إلى ثنية الحصاحص التي بين ذي طوى وبين الحصاحص .
وقال محققه : بطن مكة هو وادي الزهراء أو الشهداء .

وفي شعر كعب بن زهير رضي الله عنه :

إن الرسول السيف يستضاء به مهتد من سيوف الله مسلّول

ويروى : أن الرسول النور يستضاء به .

بيطن مكة لما أسلموا زولوا في فتية من قريش قال قائلهم

ويروى : في عصابة من قريش

زالوا فما زال أنكاس ولا كشف عن اللقاء ولا ميل معازيل

وقال عبدالله بن الزبير في وقعة الفيل لمكة :

تنكّلوا عن بطن مكة أنها كانت قديماً لا يرام حريمها

وقال أمية بن أبي الصلت في رثاء من أصيب من قريش يوم بدر :

ألا ترون لما أرى ولقد أبان لكلّ لامح

أن قد تغيّر بطن مكّة فهى موحشة الأباطح

من كلّ بطريق لبطر يق نقي القول واضح

معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم

[٥]

بطن مكة : بباءٍ موحدة مفتوحة وطاءٍ مهملة ساكنة وآخره نون موحدة ، مضاف إلى مكة البلد الحرام : موضع في مكة .
قال الله تعالى ﴿وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ..﴾ (١) .

قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره لرسوله ﷺ ، والذين بايعوه بيعة الرضوان : ﴿وهو الذي كفّ أيديهم عنكم﴾ يعني أن الله كفّ أيدي المشركين الذين كانوا خرجوا على عسكر رسول الله ﷺ يلتمسون غرّتهم ليصيبوا منهم ، فلما بعث رسول الله ﷺ فأتى بهم أسرى ، فخلّى عنهم رسول الله ﷺ ومنّ عليهم ولم يقتلهم ، فقال الله للمؤمنين : وهو الذي كفّ أيدي هؤلاء المشركين عنكم، وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم .
روي بسنده عن عبدالله بن مغفل أن رسول الله ﷺ كان جالساً في أصل شجرة بالحديبية ، وعلى ظهره غصن من أغصان الشجرة فرفعته عن ظهره، وعليّ ابن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بين يديه وسهيل بن عمرو، وهو صاحب المشركين ، فقال رسول الله ﷺ لعليّ : (اكتب بسم الله الرحمن الرحيم) ، فأمسك سهيل بيده ، فقال : مانعرف الرحمن ، اكتب في قضيتنا ما نعرف، فقال رسول الله ﷺ : (اكتب باسمك اللهم)، فكتب فقال: (هذا ما صالح

الشيخ :
سعد بن
عبدالله
الجنيد*

* بكالوريوس آداب
من قسم التاريخ
- جامعة الملك
سعود بالرياض .
- الدبلوم المالي
من كلية التربية
- جامعة الملك
سعود .
- عمل في مجال
التعليم والتوجيه
التربوي. له العديد
من المؤلفات
والمقالات المنشورة
منها : - معجم
عالية نجد ،
ومعجم الأمكنة
الواردة في صحيح
البخاري، ومعجم
الأمكنة الواردة
في المعلقات العشر
وغيرها .

(١) سورة الفتح ، الآية : ٢٤ .

محمد رسول الله أهل مكة) فأمسك سهيل بيده ، فقال : لقد ظلمناك إن كنت رسولاً ، اكتب في قضيتنا ما نعرف قال : (اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب وأنا رسول الله) فخرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح ، فثاروا في وجوهنا ، فدعا عليهم رسول الله ﷺ ، فأخذ الله بأبصارهم ، فقمنا إليهم فأخذناهم ، فقال لهم رسول الله ﷺ ، (هل خرجتم في أمان أحد) قال : فخلّى عنهم ، قال : فأنزل الله ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾ .

وروي بسنده عن أنس بن مالك أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الفجر ليقتلوهم ، فأخذهم رسول الله ﷺ فأعتقهم ، فأنزل الله ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾ .

وروي الفاكهي بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه - قال : لما كان يوم الحديبية ، نزل على رسول الله ﷺ ، ثمانون رجلاً من التنعيم من أهل مكة في سلاحهم ، فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذوا مسلماً . قال : فنزلت هذه الآية ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾ . قال : يعنى أن جبل التنعيم من مكة .

وقال الفاكهي : وبكة : الوادي الذي به الكعبة ، وبطن مكة سائر الوادي مكة : فمن ذلك المربع - حائط بن برمك - هلمّ جرّاً .

وفخ وهو أعظمها وصدره شعب بني عبدالله بن خالد بن أسيد (١) .
وقال أيضاً : بطن مكة مما يلي ذا طوى ما بين الثنية البيضاء التي تسلك إلى التنعيم ، إلى ثنية الحصحاء التي بين ذي طوى وبين الحصحاء .

(١) فخ هو الذي أصبح يدعى الزاهر .

قال المحقق : الثنية البيضاء هي الثنية التي تؤدي بك إلى التنعيم ، بينها وبين مسجد عائشة ما يقارب الكيلو الواحد .

وثنية الحصاص : هو الريع الذي على يمينك وأنت متوجّه إلى الشهداء بعد أن تجعل ريع الكحل في ظهرك ، وهذا الريع يهبط بك إلى اللصوص قادمًا من الشهداء ، ويقع هذا الريع في جبل الحصاص ، بل إن جبل الحصاص ينحصر بين ريع الكحل وريع الحصاص هذا .

فهذه الفسحة العريضة وما تضم من حيّ الزهراء والشهداء كلها هي بطن مكة .
وقال الأزرقى : بطن مكة مما يلي ذا طوى ما بين الثنية البيضاء التي تسلك إلى التنعيم إلى ثنية الحصاص التي بين ذي طوى وبين الحصاص .
وقال محققه : بطن مكة هو وادي الزهراء أو الشهداء .
وفي شعر كعب بن زهير رضي الله عنه :

إن الرسول السيف يستضاء به مهتد من سيوف الله مسلول
ويروى : أن الرسول النور يستضاء به .

في فتية من قريش قال قائلهم يبطن مكة لما أسلموا زولوا
ويروى : في عصابة من قريش

زالوا فما زال انكاس ولا كشف عن اللقاء ولا ميل معازيل
وقال عبدالله بن الزبير في وقعة الفيل لمكة :

تكلّوا عن بطن مكة إنها كانت قديما لا يرام حريمها
وقال أمية بن أبي الصلت في رثاء من أصيب من قريش يوم بدر :

ألا ترون لما أرى ولقد أبان لكلّ لامح
أن قد تغيّر بطن مكـة فهى موحشة الأباطح

من كل بطريق لبطر يق نقي القول واضح

بعل : بياء موحدة مفتوحة وعين مهملة ساكنة وآخره لام : صنم لقوم الرسول إلياس عليه السلام في بعلبك ، على أرجح الأقوال .
 قال الله تعالى : ﴿أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين﴾^(١) .
 روى ابن جرير بسنده عن عمارة عن عكرمة في قوله : ﴿أتدعون بعلا﴾ ؟
 يقول : أتدعون ربّا . هي لغة أهل اليمن ، تقول من بعل هذا الثور : أي ربّه ؟ .
 وبسنده عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿أتدعون بعلا﴾ ؟ قال : ربّا .
 وبسنده عن قتادة ، قوله : ﴿أتدعون بعلا﴾ ؟ قال : هذه لغة باليمانية : أتدعون ربّا دون الله .

وقال آخرون : هو صنم كان لهم يقال له بعل ، وبه سمّيت بعلبك .
 وروى بسنده عن الضحّاك ، يقول في قوله : ﴿أتدعون بعلا﴾ ؟ يعني : صنماً كان لهم يسمّى بعلا .
 وبسنده عن ابن زيد في قوله : ﴿أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين﴾ ؟
 قال : بعل : صنم كانوا يعبدونه ، كانوا ببعلبك ، وهم وراء دمشق ، وكان بها البعل الذي يعبدونه .

وقال القرطبي : قال ثعلب : اختلف الناس في قوله عزّ وجلّ ههنا (بعلا) فقالت طائفة : البعل ههنا الصنم . وقالت طائفة : البعل ههنا ملك . وقال ابن إسحاق : امرأة كانوا يعبدونها . والأول أكثر . وروى الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس : (أتدعون بعلا) قال : صنماً . وروى عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس : (أتدعون بعلا) قال : ربّا . النحاس : والقولان صحيحان أي أتدعون صنماً

(١) سورة الصافات ، الآية : ١٢٥ .

عملتموه رباً . يقال : هذا بعل الدار أي ربّها . فالمعنى أتدعون ربّاً اختلقتموه ،
(وأتدعون) بمعنى أتمّمون . حكى ذلك سييويه .

وقال مجاهد وعكرمة وقتادة والسديّ : البعل الربّ بلغة اليمن . وسمع ابن
عباس رجلاً من أهل اليمن يسوم ناقة بمنى فقال : من بعل هذه ؟ أي من ربّها ، ومنه
سمّي الزوج بعلّاً .

وقال أبو دؤاد :

ورأيت بعلك في الوغى متقلّداً سيفاً ورمحاً

وقال مقاتل : صنم كسره إلياس وهرب منهم . وقيل : كان من ذهب وكان طوله
عشرين ذراعاً ، وله أربعة أوجه ، ففتوا به وعظّموه حتى أخدموه أربعمائة سادن
وجعلوهم أنبياءه ، فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلّم بشريعة الضلالة ،
والسّدنة يحفظونها ويعلمونها الناس ، وهم أهل بعلبك من بلاد الشام . وبه سميت
مدينتهم بعلبك كما ذكرنا . ﴿وتذرون أحسن الخالقين﴾ أي أحسن من يقال له خالق .
وقيل : المعنى أحسن الصانعين ، لأن الناس يصنعون ولا يخلقون .

قال ياقوت : بعل : شرف البعل : جبل في طريق الشام من المدينة . وأمّا بعل
في قوله تعالى : ﴿أتدعون بعلًا وتذرون أحسن الخالقين﴾ ، فهو صنم كان لقوم
إلياس النبي ، عليه السلام ، وبه سمّي بعلبك ، وهو معظّم عند اليونانيين ، كان
بمدينة بعلبك من أعمال دمشق ثم من كورة سنير ، وقد كانت يونان اختارت لهذا
الهيكل قطعة من الأرض في جبل لبنان ثم في جبل سنير فاتخذته بيتاً للأصنام ،
وهما بيتان عظيمان أحدهما أعظم من الآخر ، وصنعوا فيهما من النقوش العجيبة
المحفورة في الحجر الذي لا يتأتّى حفر مثله في الخشب ، هذا مع علوّ سمكها وعظم
أحجارها وطول أساطينها .

قال ابن كثير : في قوله تعالى : ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدي : بعلًا يعني ربًا . قال عكرمة وقتادة وهي لغة أهل اليمن ، وفي رواية عن قتادة قال : وهي لغة أزد شنوءة . وقال ابن إسحاق : أخبرني بعض أهل العلم أنهم كانوا يعبدون امرأة اسمها بعل ، وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه : هو اسم صنم كان يعبده أهل مدينة يقال لها : بعلبك غربي دمشق .

وقال الضحاك : هو صنم كانوا يعبدونه . وقوله تعالى : ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ ؟ أي تعبدون صنماً ﴿وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ أي هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، قال الله تعالى : ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ أي للعذاب يوم الحساب .

وفي القاموس الإسلامي : بعل : البعل لغة ، الزوج والمصدر بعولة ، وقد وردت في القرآن بهذا المعنى في عدة مواضع : ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً﴾^(١) . والبعل هو الربّ والإله والصنم ، أو هو اسم على صنم معيّن ، والقائلون بهذا المعنى يرجعون كلّ بعل إلى أصل سامي قديم ويذهبون إلى أن مدينة بعلبك ، أخذت اسمها من الإله بعل الذي كان يعبد في هذه المدينة ، وقد وردت بعل في هذا المعنى مرة واحدة في سورة الصافات ، قال تعالى : ﴿وإن إلياس لمن المرسلين . إذ قال لقومه ألا تتقون . أتدعون بعلًا وتذرون أحسن الخالقين . الله ربكم ورب آبائكم الأولين . فكذبوه فإنهم لمحضرون . إلا عباد الله المخلصين﴾ .

واتفقت أكثر آراء المفسرين على أن المقصود بالبعل الصنم إطلاقاً . ولا تشير الآية إلى اسم صنم معيّن ممّا قد يوحي بأن هذه القصة تعتمد على أصل عبري .

(١) سورة النساء ، الآية : ١٢٨ .

قال : وبعلبك بلدة لبنانية قديمة بإقليم البقاع . تشتهر بمعبدها الذي أقامه الإمبراطور أنطونينوس إبّان القرن الثاني الميلادي ، ويشتقّ البعض اسمها من الإله بعل . استولى عليها العرب عام ١٦هـ (٦٣٧م) على يد أبي عبيدة فاتح الشام . وتداولتها أيدي الولاة الذين حكموا الشام باسم الخلفاء والسلاطين . يبلغ عدد سكانها نحو خمسة آلاف .

قلت : وممّا تقدّم من أقوال المفسّرين والمؤرّخين يترجّح أن بعلأ صنم يعبدّه قوم إلياس عليه السلام ، وأنه كان في بعلبك .

بكة : بياء موحدة مفتوحة وكاف مشدّدة مفتوحة وآخره هاء : يراد به مكة البلد الحرام.

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾^(١) . قال ابن جرير : اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : تأويله أن أول بيت وضع للناس ، يعبد الله فيه مباركاً وهدى للعالمين ، الذي بمكة ، قالوا : وليس هو أول بيت وضع في الأرض ، لأنه قد كانت قبله بيوت كثيرة . وروي بسنده عن خالد بن عرعة قال : قام رجل إلى عليّ فقال ألا تخبرني عن البيت ؟ أهو أول بيت وضع في الأرض ؟ فقال : لا ، ولكنه أول بيت وضع في البركة مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً .

وبسنده عن الحسن قوله : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ ، قال : هو أول مسجد عبّد الله فيه في الأرض . وقال آخرون : بل هو أول بيت وضع للناس .

وروي بسنده عن مجاهد قوله : إن أول ما خلق الله الكعبة ، ثم دحا الأرض من تحتها .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٩٦ .

وروي بسنده عن السديّ : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى
لِّلْعَالَمِينَ﴾ ، أمّا (أول بيت) فإنه يوم كانت الأرض ماء ، كان زبدة على الأرض ، فلما
خلق الله الأرض خلق البيت معها ، فهو أول بيت وضع في الأرض .
وبسنده عن قتادة في قوله : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾ ،
قال : أول بيت وضعه الله عزّ وجلّ فطاف به آدم ومن بعده .

وقال آخرون : موضع الكعبة ، موضع أول بيت وضعه الله في الأرض .
قال ابن جرير : والصواب من القول في ذلك ما قال جلّ ثناؤه فيه : إن أول
بيت مبارك وهدى وضع للناس ، للذي ببكة . ومعنى ذلك : (أن أول بيت وضع للناس) ،
أي : لعبادة الله فيه ، (مباركاً وهدى) ، يعني بذلك : وما نسكُ الناسكين وطواف
الطائفين إلّا كان تعظيماً لله وإجلالاً له ، ﴿لِلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ لصحة الخبر بذلك عن
رسول الله ﷺ وذلك ما حدثنا به محمد بن المثنى قال ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن
شعبة ، عن سليمان ، عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذرّ قال ، قلت : يا رسول
الله ، أيّ مسجد وضع أولّ ؟ قال : المسجد الحرام . قال : ثم أيّ ؟ قال المسجد
الأقصى . قال : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة .

فقد بيّن هذا الخبر عن رسول الله ﷺ أن المسجد الحرام هو أول مسجد
وضعه الله في الأرض .

وأما قوله ﴿لِلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾ ، فإنه يعني : للبيت الذي بمزدحم الناس
لطوافهم في حجّهم وعمرتهم .

وأصل (البكّ) الزحم ، يقال : منه : (بكّ فلان فلاناً) إذا زحمه وصدمه ، (فهو
بيكّه بكّا وهم يتباكون فيه) ، يعني به : يتزاحمون ويتصادمون فيه ، فكأن (بكة) (فعلة)
من (بكّ فلان فلاناً) زحمه ، سميت البقعة بفعل المزدحمين بها .

فإذا كانت (بكة) ما وصفنا ، وكان موضع ازدحام الناس حول البيت ، وكان لا طواف يجوز خارج المسجد ، كان معلوماً بذلك أن يكون ما حول الكعبة من داخل المسجد ، وأن ما كان خارج المسجد فمكة ، لا (بكة) . لأنه لا معنى خارجه يوجب على الناس التباكّ فيه .

وإذ كان ذلك كذلك قد بيّنا بذلك فساد قول من قال : (بكة) اسم لبطن (مكة) ومكة اسم للحرم .

وروي بسنده عن أبي مالك الغفاري في قوله : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَبَكَةٌ﴾ ، قال : (بكة) موضع البيت ، (ومكة) ما سوى ذلك .
وروي بسنده عن مجاهد قال : إنما سميت (بكة) لأن الناس يتباكون فيها ، الرجال والنساء .

وبسنده عن قتادة قوله : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَبَكَةٌ مَبَارَكًا﴾ ، فإن الله بكّ به الناس جميعاً فيصليّ النساء قدام الرجال ، ولا يصلح ببلد غيره .
وبسنده عن عطية العوفي قال : (بكة) موضع البيت ومكة ما حولها .
وبسنده عن ضمرة بن ربيعة : (بكة) المسجد ، ومكة ما حوله .
وبسنده عن الضحاك في قوله : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَبَكَةٌ﴾ قال : هي مكة .

وقيل (مباركاً) لأن الطواف به مغفرة للذنوب .

وقال ابن كثير في قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَبَكَةٌ مَبَارَكًا﴾ وهدي للعالمين﴾ يخبر تعالى أن أول بيت وضع للناس أي لعموم الناس لعبادتهم ونسكهم يطوفون به ويصلّون به ويعتكفون عنده ﴿لِلَّذِي بَبَكَةٌ﴾ يعني الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام الذي يزعم كل من طائفتي النصاري واليهود أنهم على

دينه ومنهجه ولا يحجّون إلى البيت الذي بناه عن أمر الله له في ذلك ونادى الناس إلى حجّه ولهذا قال تعالى ﴿مباركاً﴾ أي وضع مباركاً ﴿وهدى للعالمين﴾ وقد قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أيّ مسجد وضع أوّل ؟ قال : (المسجد الحرام) قلت : ثم أيّ ؟ قال (المسجد الأقصى) قلت : كم بينهما ؟ قال (أربعون سنة) قلت ثم أيّ ؟ قال : (ثم حيث أدركتك الصلاة فصلّ فكلّها مسجد) وأخرجه البخاري ومسلم من حديث الأعمش .

وقوله تعالى : ﴿للذي ببكة﴾ بكة من أسماء مكة على المشهور . قيل : سميت بذلك ؛ لأنها تبكّ أعناق الظلمة والجبايرة بمعنى أنهم يذلّون بها ويخضعون عندها ، وقيل : لأن الناس يتباكّون فيها ويزدحمون .

قال القرطبي : قوله تعالى : ﴿للذي ببكة﴾ بكة : موضع البيت ومكة سائر البلد ، عن مالك بن أنس . وقال محمد بن شهاب : بكة المسجد ، ومكة الحرم كله تدخل فيه البيوت . وقال مجاهد : بكة هي مكة ، فالميم على هذا مبدلة من الباء ، كما قالوا : طين لازب ولازم .

ثم قيل : بكة مشتقة من البك وهو الازدحام ، تباكّ القوم ازدحموا ، وسميت بكة لازدحام الناس في موضع طوافهم . والبكّ دقّ العنق .

وقيل : سميت بذلك ؛ لأنها كانت تدقّ رقاب الجبايرة إذا ألحدوا فيها بظلم . وقال ياقوت : بكة : هي مكة بيت الله الحرام ، أبدلت الميم باء وقيل : بكة ، بطن مكة ، وقيل : موضع البيت والمسجد ومكة وما وراءه ، وقيل : البيت مكة وما والاه بكة ، وقال ابن الكلبي : سميت مكة ؛ لأنها بين جبلين بمنزلة المكوّك ، وقال أبو عبيدة : بكة اسم لبطن مكة ، وذلك أنهم كانوا يتباكّون فيه أي يزدحمون .

وروي عن مغيرة عن إبراهيم قال : مكة موضع البيت وبكة موضع القرية ، وقال عمرو بن العاص : إنما سميت بكة ؛ لأنها تبك أعناق الجبابرة ، وقال يحيى بن أبي أنيسة : بكة موضع البيت ومكة الحرم كله .

وقال زيد بن أسلم : بكة الكعبة والمسجد ومكة ذو طوى وهو بطن مكة الذي ذكره الله تعالى في القرآن في سورة الفتح . وقيل : بكة لتباك الناس بأقدامهم قدام الكعبة .

قلت : فيما تقدم من أقوال العلماء يتبين أنهم اختلفوا في تعريف (بكة) و(مكة) وقد علل كل منهم باجتهاده ما قاله ، غير أن هذا الاختلاف لم ينأ عن صفة هذا البلد الحرام وما خصه الله به من البركة والهدى - وفي رسم (مكة) مزيد من الإيضاح - فانظره .

معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم

[٦]

البلد : هو بياء موحدة مفتوحة بعدها لام مفتوحة وآخره

دال مهملة : ويراد به مكة البلد الحرام .

قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١) .

وقال تعالى على لسان خليله إبراهيم : ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٢) .

وقال تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ : ﴿إِنَّمَا أَمْرٌ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حَلُّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ

الْأَمِينِ﴾ (٥) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٢٦ .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية : ٣٥ .

(٣) سورة النمل ، الآية : ٩١ .

(٤) سورة البلد ، الآيتان : ١ - ٢ .

(٥) سورة التين ، الآيات : ١ - ٣ .

الشيخ :

سعد بن

عبدالله

الجنيدل

* بكالوريوس آداب

من قسم التاريخ

- جامعة الملك

سعود بالرياض .

- الدبلوم العالي

من كلية التربية -

جامعة الملك

سعود .

- له العديد من

المؤلفات والمقالات

المنشورة - :

معجم عالية

نجد، ومعجم

الأمكنة الواردة

في صحيح

البخاري، معجم

الأمكنة الواردة

في المعلقات

العشر وغيرها .

- يعمل الآن في

مجال التعليم

والتوجيه التربوي.

قال ابن جرير : قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ يعني بقوله ﴿آمِنًا﴾ أمناً من الجبابرة وغيرهم ، أن يسلطوا عليه ، ومن عقوبة الله أن تناله كما تنال سائر البلدان ، من خسف وانثفاك وغرق ، وغير ذلك من سخط الله ومثلاته التي تصيب غيره .

فإن قال قائل : أو ما كان الحرم آمناً إلا بعد أن سأل إبراهيم ربّه له الأمان ؟ قيل له : لقد اختلف في ذلك ، فقال بعضهم : لم يزل الحرم آمناً من عقوبة الله وعقوبة جبابرة خلقه ، منذ السماوات والأرض ، واستدلوا في ذلك بما :

روي بسنده عن أبي شريح الخزاعي يقول : لما فتحت مكة قتلت خزاعة رجلاً من هذيل ، فقام رسول الله ﷺ خطيباً فقال : يا أيها الناس أن الله حرّم مكة يوم خلق السماوات والأرض فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا تحلّ لامرء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمأً أو يعضد بها شجراً . ألا وأنّها لا تحلّ لأحد بعدي ، ولم تحلّ لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها .

ألا فهي قد رجعت على حالها . ألا ليلبّغ الشاهد الغائب . فمن قال أن رسول الله قد قتل بها فقولوا : أن الله قد أحلّها لرسوله ولم يحلّها لك .

روي بسنده عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لمكة حين افتتحها : «هذه حرم حرّمها الله يوم خلق السماوات والأرض ، وخلق الشمس والقمر ، ووضع هذين الأخشبين ، لم تحلّ لأحد قبلي ، ولا تحلّ لأحد بعدي ، أحلتّ لي ساعة من نهار» .

قالوا : فمكة ، منذ خلقت حرام حرم آمن من عقوبة الله وعقوبة الجبابرة .

قالوا : وقد أخبرت عن صحة ما قلنا من ذلك الرواية الثابتة عن رسول الله

ﷺ التي ذكرناها .

قالوا : ولم يسأل إبراهيم ربّه أن يؤمنه من عقوبته وعقوبة الجبابرة ، ولكنه سأله أن يؤمن أهله من الجدوب والقحوط ، وأن يرزق ساكنه من الثمرات كما أخبر ربّه عنه أنه سأله بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۝ ﴾ .

قالوا : وإنما سأل ربه ذلك لأنه أسكن فيه ذريته ، وهو غير ذي زرع ولا ضرع ، فاستعاذ ربه من أن يهلكم بها جوعاً وعطشاً ، فسأله أن يؤمنهم مما حذر عليهم منه . قالوا : وكيف يجوز أن يكون إبراهيم سأل ربه تحريم الحرم وأن يؤمنه من عقوبته وعقوبة جبابرة خلقه ، وهو القائل ، حين حلّه ونزله بأهله وولده : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَصْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ۝ ﴾ .

قالوا : فلو كان إبراهيم هو الذي حرّم الحرم ، أو سأل ربه تحريمه ، لما قال : ﴿ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ۝ ﴾ عند نزوله به ، ولكنه حرّم قبله ، وحرّم بعده .

وقال آخرون : كان الحرم حلالاً قبل دعوة إبراهيم كسائر البلاد وغيره ، وإنما صار حراماً بتحريم إبراهيم إياه ، كما كانت مدينة رسول الله ﷺ حلالاً قبل تحريم رسول الله ﷺ إياها . قالوا : والدليل على ما قلنا من ذلك ، ما :

روي بسنده عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ إن إبراهيم حرّم بيت الله وأمنه ، وأني حرّمت المدينة ما بين لابتيها ، لا يصاد صيدها ولا تقطع عضاها . وروي بسنده عن نافع عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن إبراهيم كان عبدالله وخليته ، وإنني عبدالله ورسوله ، وأن إبراهيم حرّم مكة ، وإنني حرّمت المدينة ما بين لابتيها ، عضاها وصيدها ، ولا يحمل فيها سلاح لقتال ، ولا يقطع منها شجر إلا لعلف بعير .

وروي بسنده عن رافع بن خديج قال : قال رسول الله ﷺ : إن إبراهيم حرّم

مكة ، وإنِّي أحرّم المدينة ما بين لابتيها ، وما أشبه ذلك من الأخبار التي يطول باستيعابها البحث .

قال القرطبي : قوله تعالى : ﴿ بَلَدًا آمِنًا ﴾ يعني مكة ، فدعا لذريّته وغيرهم بالأمن ورغد العيش .. فروي أنه لما دعا بهذا الدعاء أمر الله تعالى جبريل فاقطع الطائف من الشام فطاف بها حول البيت أسبوعاً ، فسمّيت الطائف لذلك ، ثم أنزلها تهامة ، وكانت مكة وما يليها حين ذلك فقراً لا ماء ولا نبات ، فبارك الله فيما حولها كالطائف وغيرها ، وأنبت فيها أنواع الثمرات .

وقوله تعالى : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ يعني مكة ، ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ أي اجعلني جانباً عن عبادتها ، وأراد بقوله : ﴿ وَبَنِيَّ ﴾ بنيه من صلبه وكانوا ثمانية ، فما عبد أحد منهم صنماً ، وقيل : هو دعاء لمن أراد الله أن يدعو له .

وقرأ الجحدري وعيسى : ﴿ وَاجْنُبْنِي ﴾ بقطع الألف والمعنى واحد ، يقال : جنبت ذلك الأمر وأجنبته وجنبته إيّاه فتجانبه واجتنبه أي تركه .

وكان إبراهيم التيمي يقول في قصصه : من يأمن البلاء بعد الخليل حين يقول : ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ كما عبدها أبوه وأمه .

وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ . قال ابن جرير : القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ، يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد ﷺ قل ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ ﴾ وهي مكة ﴿ الَّذِي حَرَّمَهَا ﴾ على خلقه أن يسفكوا فيها دمأ حراماً ، أو يظلم فيها أحد ، أو يصاد صيدها ، أو يختلا خلاها ، دون الأوثان التي تعبدونها أيّها المشركون .

وروي بسنده عن قتادة ، قوله ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا ﴾
يعني مكة .

وقال تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حَلُّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ .

قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : أقسم يا محمد بهذا البلد الحرام وهو مكة
وكذا قاله أهل التأويل :

وروي بسنده عن ابن عباس في قوله ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ يعني مكة .

وبسنده عن مجاهد ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ قال مكة .

وبسنده عن قتادة ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ قال البلد مكة .

وبسنده عن عطاء في قوله : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ يعني مكة .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ .

وقال ابن جرير : قوله : ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ يقول : وهذا البلد الأمين من
أعدائه أن يحاربوا أهله أو يغزوهم . وقيل : ﴿ الْأَمِينِ ﴾ ومعناه الآمن ، وهذا كما قال
جلّ ثناؤه ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾^(١) . وإنما عنى
بقوله : ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ : مكة .

وروي بسنده عن ابن عباس ، قوله ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ قال : مكة .

وقال القرطبي : قوله تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ والبلد هي مكة ، أجمعوا

عليه أي أقسم بالبلد الحرام الذي أنت فيه ، لكرامتك عليّ وحبّي لك .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ يعني مكة ،

سمّاه آميناً ؛ لأنه آمن ، كما قال : ﴿ جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا ﴾ فالأمين : بمعنى الآمن .

وبهذا احتجّ من قال : إنه أراد بالتين دمشق ، وبالزيتون بيت المقدس ، فأقسم

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٦٧ .

الله بجبل دمشق ؛ لأنه مأوى عيسى عليه السلام ، وجبل بيت المقدس ؛ لأنه مقام الأنبياء عليهم السلام ، وبمكة ؛ لأنها أثر إبراهيم ودار محمد ﷺ .
قلت : وما تقدّم هو موجز لما قاله المفسرون في تفسير الآيات الكريمة التي جاء فيها ذكر البلد الأمين .

البيت: بياء موحدة مفتوحة وياء مثناة ساكنة وتاء مثناة: البيت الحرام الذي بمكة.
قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا﴾ (١) .
وقال تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ (٢) .
وقال تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِّلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٣) .
وقال ابن جرير : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا﴾ يثبون إليه من كل مكان ولا يقضون منه وطراً .

وبسنده عن سعيد بن جبير : قال يحجّون ويؤوبون .
وبسنده عن قتادة ، قال : مجمعاً .
وفي آية آل عمران : بيّن الله تبارك وتعالى هذا البيت وحدّد مكان مكة .
قال ابن جرير : وأما قوله : ﴿بِكَّةَ مُبَارَكًا﴾ فإنه يعني للبيت الذي بمزدحم الناس لطوافهم في حجّهم وعمرتهم . وأصل البكّ الزحم .
وبسنده عن أبي مالك الغفاري في قوله : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِّلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ قال مكة . قال : (بكّة) موضع البيت ومكة ما سوى ذلك .
وبسنده عن غالب بن عبيدالله : أنه سأل ابن شهاب عن بكّة ، قال : (بكّة)

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٢٥ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٢٧ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٩٦ .

البيت والمسجد . وسأله عن (مكة) ، فقال ابن شهاب : مكة الحرم كله .
قلت : ولما لبى الله الذي بمكة من الشهرة ، ولأن سياق الآيات فيه دليل على
أن المقصود به بيت الله الذي بمكة ، فإنني أكتفي بهذا القدر من أقوال المفسرين في
تحديد هذا البيت المبارك الذي بمكة جعله الله مباركاً وهدى للعالمين .
وفي رسم (مكة) ورسم (البلد الحرام) مزيد من الإيضاح فيما فيه كفاية إن
شاء الله .

البيت العتيق : المقصود به الكعبة المشرفة التي في مكة .
قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (١) .
وقال تعالى : ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (٢) .
وقال ابن جرير : قوله تعالى : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ يقول : وليطوفوا
ببيت الله الحرام .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿ الْعَتِيقِ ﴾ في هذا الموضع ، فقال
بعضهم : قيل ذلك لبيت الله الحرام ، لأن الله أعتقه من الجابرة أن يصلوا إلى
تخريبه وهدمه .

وبسنده : أن ابن الزبير قال : إنما سمّي البيت العتيق ؛ لأن الله أعتقه من الجابرة .
وبسنده عن مجاهد قال : إنما سمّي العتيق ؛ لأنه أعتق من الجابرة .
وبسنده عن قتادة قال : أعتق من الجابرة .
وقال آخرون : قيل له عتيق ؛ لأنه لن يملكه أحد من الناس .
وبسنده عن مجاهد ، قال : إنما سمّي البيت العتيق ؛ لأنه ليس لأحد فيه شيء .

(١) سورة الحج ، الآية : ٢٩ .

(٢) سورة الحج ، الآية : ٣٣ .

وقال آخرون : سمّي بذلك لقدمه .

وبسنده عن ابن زيد قال: العتيق القديم ؛ لأنه قديم كما يقال : السيف العتيق؛ ولأنه أول بيت وضع للناس ، بناء آدم ، وهو أول من بناء ، ثم بوأ الله موضعه لإبراهيم بعد الغرق فبناءه إبراهيم وإسماعيل .

وبسنده عن عبدالله بن الزبير ، قال : قال رسول الله ﷺ : (إنما سمّي البيت العتيق ، لأن الله أعتقه من الجبابة فلم يظهر عليه جبار قط) .

وقال ابن كثير في قوله تعالى : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ قال : لأنه أول بيت وضع للناس ، وكذا قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم .. وعن عكرمة أنه قال : إنما سمّي البيت العتيق؛ لأنه أعتق يوم الفرق زمان نوح ، وقال خصيف : إنما سمّي البيت العتيق؛ لأنه لم يظهر عليه جبار قط .

وقال ابن أبي نجيح والليث عن مجاهد : أعتق من الجبابة أن يسلطوا عليه ، وكذا قال قتادة . وقال حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد : لأنه لم يردّه أحد بسوء إلا هلك . وقال عبدالرزاق عن معمر عن الزهري عن الزبير قال : إنما سمّي البيت العتيق ؛ لأن الله أعتقه من الجبابة .

وقال ياقوت : البيت العتيق : هو الكعبة ، وقيل هو اسم من أسماء مكة ، سمّي بذلك لعتقه من الجبارين أي لا يتجبرون عنده بل يتذلّلون ، وقيل بل لأن جباراً لا يدّعيه لنفسه ، وقد يكون العتيق بمعنى قديم ، وقد يكون معنى العتيق الكريم ، وكل شيء كرم وحسن قيل له عتيق .

قلت : هذا خلاصة ما ذكره علماء التفسير عن تسمية البيت العتيق .. وبهذا القدر من الحديث أكتفي لما لهذا البيت المقدّس العتيق الحرام من الشهرة الإسلامية والتاريخية عند المسلمين .

باب الجيم :

الجبل : بجيم معجمة مفتوحة وباء موحدة مفتوحة وآخره لام : جبل الطور .
 قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۖ ﴾ (١) .
 وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ۖ ﴾ (٢) .
 روي ابن جرير بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ قال ما تجلَّى منه إلا قدر الخنصر ﴿ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ قال : تراباً ، ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ قال : مغشياً عليه .
 وروي بسنده عن قتادة قوله ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ قال : انقعر بعضه على بعض ، ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ أي : ميئاً .
 وروي بسنده عن أنس : أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ قال هكذا بأصبعه - ووضع النبي ﷺ الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر - فساخ الجبل .
 قال ابن كثير : وقال مجاهد في قوله : ﴿ وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ فإنه أكبر منك وأشدَّ خلقاً ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ فنظر إلى الجبل لا يتمالك وأقبل الجبل فدكَّ على أوله ورأى موسى ما يصنع الجبل فخرَّ صَعِقًا . وقال عكرمة : جعله دكًّا قال نظر الله إلى الجبل فصار صحراً تراباً وقد قرأ بهذه القراءة بعض القراء واختارها ابن جرير وقد ورد فيها حديث مرفوع رواه ابن مردويه والمعروف أن الصعق هو الغشي وهنا كما فسره ابن عباس وغيره لا كما فسره قتادة بالموت وإن كان ذلك صحيحاً في اللغة .

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٣ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٧١ .

ويفهم من الحديث الذي رواه البخاري بسنده عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور .

أن الجبل الذي تجلّى له ربه تعالى فيه هو جبل الطور .
وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .

قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : واذكروا يا محمد إذ اقتلنا الجبل فرفعناه فوق بني إسرائيل ، كأنه ظلة غمام من الظلال ، وقلنا لهم : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ من فرائضنا وما ألزمناكم من أحكام كتابنا فاقبلوه ، اعملوا باجتهاد منكم في أدائه من غير تقصير ولا توان ، ﴿ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ يقول : ما في كتابنا من العهود والمواثيق التي أخذنا عليكم بالعمل بما فيه ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ، يقول : كي تتقوا ربكم ، فتخافوا عقابه بترككم العمل به إذا ذكرتم ما أخذ عليكم فيه من المواثيق .

وينحو الذي قلنا ذلك قال أهل التأويل :

وروي بسنده عن ابن عباس قوله : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ ، فهو قوله : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثَاقِهِمْ ﴾ ^(١) فقال : خذوا ما آتيناكم بقوة وإلا أرسلناه عليكم .

قال القرطبي : قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ ﴾ هذه الآية تفسر معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ ، قال أبو عبيدة : المعنى

(١) سورة النساء ، الآية : ١٥٤ .

زعزعناه فاستخرجناه من مكانه . قال : وكل شيء قلعتة فرميت به فقد نتقته .
وقيل : نتقناه رفعناه .

قال ابن الأعرابي : النائق الرافع ، والنائق الباسط ، والنائق الفائق ، وامرأة
نائق ومنتاق : كثيرة الولد .

واختلف في الطور ، فقيل : الطور اسم للجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه
السلام وأنزل عليه فيه التوراة دون غيره ، رواه ابن جريج عن ابن عباس .

قال ابن كثير : وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾ .

قال ابن عباس وغيره واحد من السلف : لما جاءهم موسى بالألواح فيها
التوراة أمرهم بقبولها والأخذ بها بقوة وعزم . فقالوا : انشرها علينا فإن كانت
أوامرها ونواهيها سهلة قبلناها ، فقال : بل اقبلوها بما فيها ، فراجعوه مراراً ، فأمر
الله الملائكة فرفعوا الجبل على رؤوسهم حتى صار كأنه ظلة - أي غمامة - على
رؤوسهم ، وقيل لهم إن لم تقبلوها بما فيها وإلا سقط هذا الجبل عليكم فقبلوا ذلك
وأمروا بالسجود فسجدوا ، فجعلوا ينظرون إلى الجبل بشق وجوههم ، فصارت سنة
اليهود إلى اليوم ، يقولون : لا سجدة أعظم من سجدة رفعت عنا العذاب .

قلت : من هذه النصوص يفهم أن الجبل الذي رفعه الله على بني إسرائيل
هو جبل الطور . وسيأتي في رسم (الطور) مزيد من الإيضاح عن الطور بما فيه
كفاية - إن شاء الله .

الجودي : بجيم معجمة مضمومة بعدها واو ساكنة فдал مهمة بعدها ياء :
جبل مطل على الجزيرة في العراق ، من أعمال الموصل .

قال الله تعالى : ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْرَتَ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

(١) سورة هود ، الآية : ٤٤ .

قال البخاري في صحيحه ، عن مجاهد : الجوديّ جبل بالجزيرة .
 وقال ابن حجر : وقال مجاهد : الجوديّ جبل بالجزيرة ، وصله ابن أبي حاتم
 من طريق ابن أبي نجيح عنه ، وزاد : تشامخت الجبال يوم الغرق وتواضع هو لله فلم
 يفرق وأرسيّت عليه سفينة نوح عليه السلام .
 قال ابن جرير : قوله تعالى : ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ يعني الفلك ، (استوت)
 أرست (على الجوديّ) وهو جبل فيما ذكر بناحية الموصل أو الجزيرة .
 وروي بسنده عن قتادة : ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ ، أبقاها الله لنا بوادي
 أرض الجزيرة عبرة وآية .
 وبسنده عن الضحاك يقول : ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ هو جبل الموصل .
 قال ياقوت: الجوديّ: ياءه مشدّدة: وهو جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب
 الشرقي من دجلة ، من أعمال الموصل ، عليه استوت سفينة نوح عليه السلام . ه .
 قال ابن بطوطة في وصف طريقه من الموصل إلى نصيبين : رحلنا من الموصل
 ونزلنا قرية تعرف بعين الرصد وهي على نهر عليه جسر مبني وبه خان كبير، ثم رحلنا
 ونزلنا قرية تعرف بالمويلحة ، ثم رحلنا منها ونزلنا جزيرة ابن عمر ، وهي مدينة
 كبيرة حسنة محيط بها الوادي ، ولذلك سميت جزيرة ، أكثرها خراب ولها سوق
 حسنة عتيق مبني بالحجارة محكم العمل ، وسورها مبني بالحجارة أيضاً وأهلها
 فضلاء لهم محبة بالغرباء ، ويوم نزلنا بها رأينا جبل الجوديّ المذكور في كتاب الله ،
 عزّ وجلّ ، الذي استوت عليه سفينة نوح ، عليه السلام ، وهو جبل عال مستطيل .
 ثم رحلنا منها مرحلتين ووصلنا إلى مدينة نصيبين^(١) .
 وقال المسعودي : وكان ركوبهم - يعني نوحاً ومن معه - في السفينة يوم

(١) رحلة ابن بطوطة / ٢٣٦ .

الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من آذار ، فأقام نوح ومن معه في السفينة على ظهر الماء وقد غرق جميع الأرض خمسة أشهر ثم أمر الله تعالى الأرض أن تبتلع الماء والسماء أن تقلع واستوت السفينة على الجودي ، والجودي جبل ببلاد باسورى ، وجزيرة ابن عمر ببلاد الموصل ، وبينه وبين دجلة ثمانية فراسخ ، وموضع جنوح السفينة على رأس هذا الجبل إلى هذه الغاية .

ونزل نوح من السفينة ومعه أولاده الثلاثة ، وهم : سام ، وحام ، ويافث وكنّاته الثلاث أزواج أولاده وأربعون رجلاً وأربعون امرأة ، وصاروا إلى سفح الجبل فابتنوا هناك مدينة وسموها ثمانين ، وهو اسمها إلى وقتنا هذا وهو سنة ٣٣٢ ، ودثر عقب هؤلاء الثمانين نفساً ، وجعل الله نسل الخليفة نوح من الثلاثة من ولده ، وقد أخبر الله عز وجل بذلك بقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ (٢٠١) هـ .

قال ابن كثير : ذكر الله تعالى في كتابه الجودي على التعيين ، وهو جبل عظيم في شرق جزيرة ابن عمر إلى جانب دجلة ، عند الموصل ، امتداده من الجنوب إلى الشمال مسيرة ثلاثة أيام ، وارتفاعه مسيرة نصف يوم ، وهو أخضر ؛ لأن فيه شجراً من البلوط ، وإلى جانبه قرية يقال لها : قرية الثمانين لسكنى الذين نجوا في السفينة مع نوح عليه السلام (٢) هـ .

وقال ابن الأثير : قال ابن عباس : وطافت السفينة - يعني سفينة نوح - بالأرض كلها لا تستقر حتى أتت الحرم فلم تدخله ، ودارت بالحرم أسبوعاً ثم ذهبت في الأرض تسير بهم ، حتى انتهت إلى الجودي ، وهو جبل بأرض الموصل فاستقرت عليه فقيل عند ذلك : ﴿ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤) هـ .

(٢٠١) مروج الذهب ١ - ٥١ . سورة الصافات ، الآية : ٧٧ .

(٣) البداية والنهاية ١ - ٢١ .

(٤) الكامل في التاريخ ١ - ٧٢ .

قلت : هذا هو جبل الجودي ، الذي استوت عليه سفينة نوح عليه السلام كما جاء ذلك في القرآن الكريم - وهو واقع في شمال العراق ، في ناحية الموصل ، مطل على جزيرة ابن عمر . وقد استوفيت الحديث عن جزيرة ابن عمر في رسم (الجزيرة) ، وقد اتفق المؤرخون في وصفه وتحديده .

قال ياقوت : والجودي أيضاً : جبل بأجأ أحد جبلي طيئ ، وإياه أراد أبو صعتر البولاني بقوله :

فما نطفة من حبّ مزن تقاذفت به جنبتا الجودي والليل دامس
فلما أقرته اللصاف تنفست شمال لأعلى مائه فهو قارس
بأطيب من فيها وما ذقت طعمه ولكنني فيما ترى العين فارس

قلت : والجودي أيضاً ، ذكره ابن الأثير ، في حديثه عن حوادث سنة (٦٠٢) ، قال : إنهم شهاب الدين محمد بن سام الغوري ، صاحب غزنة ، من الخطا الكفار .. وظهر الخبر ببلاده أنه عدم من المعركة ، ولم يقف أصحابه له على خبر ، فلما اشتهر هذا الخبر ثار المفسدون في أطراف البلاد . كان ممن أفسد دانيال ، صاحب جبل الجودي ، فإنه كان قد أسلم ، فلما بلغه الخبر ارتدّ عن الإسلام ، وتابع بني كوكر ، وكان في جملة الخارجين عليه بنو كوكر ، ومساكنهم في جبال بين الهاوور والمولتان حصينة منيعة ، وكانوا قد أطاعوا شهاب الدين ، وحملوا له الخراج ، فلما بلغهم خبر عدمه ثاروا فيمن معهم من قبائلهم وعشائرتهم ، وأطاعهم صاحب جبل الجودي وغيره من القاطنين بتلك الجبال ، ومنعوا الطريق من الهاوور وغيرها إلى غزنة .

وذكر أن شهاب الدين أخذ يجهز لغزو الخطا الكفار وبني كوكر وقال : أتاه - يعني شهاب الدين - خبر ابن كوكر أنه نازل في عساكره ما بين جيلم وسودرة ، فجد

السير إليه ، فدهمه قبل الوقت الذي كان يقدر وصوله فيه فاقتتلوا قتالاً شديداً .. من بكرة إلى العصر ، واشتد القتال ، فبينما هم في القتال أقبل قطب الدين أبيك في عساكره ، فنادوا بشعار الإسلام ، وحملوا حملة صادقة ، فانهمز الكوكريّة ومن انضم إليهم ، وقتلوا بكل مكان ، وكان أهلهم وأموالهم معهم لم يفارقوهم فغنم المسلمون منهم ما لم يسمع بمثله ، وهرب ابن كوكر بعد أن قتل إخوته وأهله .
وأما ابن دانيال ، صاحب جبل الجودي ، فإنه جاء ليلاً إلى قطب الدين أبيك فاستجار به فأجاره وشفّع فيه إلى شهاب الدين فشفعه فيه ، وأخذ منه قلعة الجودي^(١) ه .

هذا هو جبل الجودي الواقع بين غزنة وبلاد الهند .
الجوديّ أيضاً : جبل ذكره حمد الجاسر وقال : الجودي : جبل بقرب منهل جودة ، وذكره في كتاب (دليل الخليج) في الكلام على جبل الحساء ، بأنه يقع على مسافة ١٢ ميلاً غرب جبال الطّف ، وآبار جودة بينه وبينها .
وذكر بعضهم أن فروع وادي الفروق تنحدر من جبل الجودي وما بقربه من المرتفعات . ه .

والجودي أيضاً طريق بين نجد والأحساء ، نسبة إلى (جودة) وهو منهل جاهلي في أشعار العرب وأخبارهم ، إلا أن المتأخرين أسقطوا من اسمه الجاهلي ياء من أوله ، فقد كان اسمه الجاهلي يجودة ، وقد ذكرها صاحب معجم البلدان وقال : هي في بلاد بني تميم ، وهي قريب منتصف الطريق بين الدهناء وبين الأحساء إلا أن المسافة الواقعة بين الأحساء وجودة أقرب^(٢) . ه .

(١) الكامل في التاريخ ١٢ - ٢٠٨ - ٢١١ .

(٢) صحيح الأخبار ٢ - ١٨٢ .